جامعة د مولاي الطّاهر_ سعيدة .
كليّة الآداب واللّغات الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في النّقد العربي القديم

بعنوان

المنهج النّقدي عند محمود شاكر بين فنّية الذّوق وعلمية الإجراء

ـ قراءة في مراجعاته النّقدية لقضايا النّقد الأدبي القديم ـ

إعداد الطالبة :
بن ويس يمينة

إشراف الدّكتور :
هاشمي الطّاهر

لجنة المناقشة المشكّلة من :

د . مرسلي عبد السّلام	رئيـــــــــسا
د . هاشمي الطّاهر	مشرفا ومقرّرا
د . بهلول شعبان	ممتحـــــــــنا

1440.1439هـ

2019.2018م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إهداء

إلى جامعتنا الّتي خرجنا منها ونحن لا نعرف محمود شاكر.....

إلى كلّ الأوفياء لتراثنا النّقدي العربي القديم.

والوفاء لا يعني القوقعة والجمود.....

والانفتاح لا يعني الانسلاخ.....

يقول القاضي عبد الرّحيم البيساني في رسالة له إلى العماد الأصفهاني :

ما كَتبَ أَحدُهُم في يَومِهِ كِتَاباً إِلَّا قَالَ في غَدِهِ : لَو غُيِّرَ هَذَا لكان أحسَن ، وَلَو زِيدَ ذَاكَ لكان يُستَحسَن ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل ، ولو تُرِكَ ذاك لكان أجمل ، وهذا من أعظم العِبَر وَهُو دَلِيلٌ عَلى استِيلاَءِ النَّقصِ على جُملَةِ البَشَر.

نقلا عن كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج1 ، ص17

مقدمة

مقدمة:

تعتبر إشكاليّة المنهج في النّقد العربي من أهمّ القضايا الّتي أفرزتها التّبعيّة الثّقافيّة ، والانفتاح اللاّمشروط على الغرب ، خاصّة في ظلّ هذه الأزمة والفوضى المنهجيّة الّتي شهدتها السّاحة النّقديّة العربيّة عقب ما يسمّى بعصر النّهضة ، مما جعل النّقاد العرب يقفون من هذه المناهج الغربيّة الدّخيلة بين مؤيّد ومحاذر ومعارض.

ويعدّ محمود محمّد شاكر واحدا من الّذين شغلهم هاجس البحث عن منهج عربي يكفل مراعاة الخصوصيّة الثّقافيّة ، خاصّة إذا ما تعلّق الأمر بدراسة التّراث العربي ، بعد أن أوجس خيفة من هذه المناهج النّقديّة الّتي رأى فيها معاول طمس للثقافة العربيّة الأصيلة وتدميرا للذّات والهويّة.

وقد قاده هاجس البحث في هذه القضيّة إلى صياغة منهج خاصّ يزاوج بين فنية الذوق وعلمية التقصي ، وإن كان هذا المنهج لا يكاد يسمع له في ساحة النّقد العربي حسّا ، ولا يكاد يذكر هو ولا صاحبه إلاّ لماما وعلى استحياء ، بخلاف ما نراه من احتفاء كبير ،وتهويل عظيم بذكر المناهج الغربيّة وأصحابها.

ولعلّ هذا واحد من أهمّ الأسباب الّتي حملتني على اختيار هذا المنهج النّقدي ليكون موضوع بحثي الّذي حمل عنوان " المنهج النّقدي عند محمود شاكر بين فنّية الذّوق وعلمية الإجراء ـ قراءة في مراجعاته النّقدية لقضايا النّقد الأدبي القديم".

وقد حاولت من خلاله الوقوف عند بعض الإشكاليات أهمّها:

- ما هو موقف شاكر من المناهج الغربيّة ؟ وعلى أيّ أساس بنى موقفه ومنهجه؟.
- ما هو مفهوم شاكر للمنهج؟.
- ثمّ ماهي حدود الذّوق الفنّي في منهج محمود شاكر ، وما هي في المقابل أدواته العلمية في مناقشة المسائل النقدية وتحقيقها

- وإلى أي حدّ استطاع الجمع بين فنّية الذّوق وصرامة الإجراء وعلميّته؟.

وقد اشتمل البحث على مقدّمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.جاءت كالتالي:

ـ المدخل : وقد حاولت من خلاله رصد مراحل تطوّر النّقد العربي من الذّوق إلى المنهج باعتبار هذه المراحل مسارا تاريخيّا وفنّيا يمثّل الإمتداد والتّطور الطّبيعيين للنّقد العربي القديم.

ـ أمّا الفصل الأول فقد عنونته ب " وقفة لا بدّ منها " ، حاولت من خلاله الوقوف على أهمّ المحطّات البارزة في حياة محمود شاكر والّتي كان لها التّأثير الواضح في بناء شخصيته ومنهجه النّقدي.

ـ أمّا الفصل الثّاني فهو بعنوان " محمود شاكر والمنهج " ، وقد تضمّن خمسة مباحث هي كالتّالي :

1ـ المبحث الأول : التّعريف بالمنهج لغة واصطلاحا.

2ـ المبحث الثاني :المنهج بين المعرفة العلميّة والفنّية.

3ـ المبحث الثالث : محمود شاكر وموقفه من المناهج الأدبيّة

4ـ المبحث الرابع : منهج محمود شاكر التّذوقي.

5ـ المبحث الخامس : ضوابط المنهج عند محمود شاكر.

وإن كان الأمر في المبحثين الأخيرين يتطلّب الكثير من الشّرح والاستفاضة خاصّة وأنّ محمود شاكر قد فصّل في مسألة التّذوق وبسط فيها القول كثيرا في كتبه ، إلاّ أنّي ونظرا لضيق وقت البحث اقتصرت على ذكر ما رأيته مهمّا ، وإن كان الّذي لم يذكر لا يقلّ أهمّية .

ـ أمّا الفصل الثّالث والأخير فقد عنونته بعنوان " قراءة في مراجعات محمود شاكر لبعض قضايا النّقد العربي القديم " على سبيل التطبيق ، وقد اشتمل على مبحثين أساسيين :

المبحث الأول : قضيّة الشّعر الجاهلي : وتفرع عن هذا المبحث مطلبان:

أـ مسألة عمر الشّعر الجاهلي وأوّليته.

بـ ـ مسألة الإنتحال في الشّعر الجاهلي.

المبحث الثاني : قضيّة المتنبي.

وهذه القضايا وإن كانت من الأهمّية بمكان لأنّها توضّح طريقة تطبيق محمود شاكر لمنهجه التّذوقي في تعامله مع قضايا النّقد العربي واعتماده على التّذوق الفنّي في استنطاق دلالات النّصوص ، والصّرامة العلميّة في استنباط الحقائق التّاريخيّة ، ممّا يتطلّب وقوفا طويلا ومفصّلا إلاّ أنّ ضيق الوقت كما ذكرت آنفا اضطرّني للمرور عليها مرور اللّئام خاصّة ما تعلّق بمسألة الإنتحال.

وقد استدعتني طبيعة الموضوع في الجزئية الأولى من البحث إلى اعتماد المنهج التّاريخي في عرض المسار الفنّي لتطوّر النّقد العربي القديم ثمّ عرض المحطّات المهمّة من حياة محمود شاكر.

بينما اعتمدت المنهج الوصفي التّحليلي في الفصلين الثّاني والثّالث باعتباره المنهج الأنسب لطبيعة المحتوى في هذين الفصلين .

وقد اتّكأت في بحثي هذا على جملة من المراجع منها :

ـ المتنبي لمحمود شاكر ، إضافة إلى كتبه : أباطيل وأسمار/ قضيّة الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي/ رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا.

إضافة إلى :

ـ محمود محمّد شاكر "الرّجل والمنهج" لعمر حسن القيّام.

ـ محمود شاكر "سيرته الأدبيّة ومنهجه النّقدي" لإبراهيم الكوفحي .

ـ أبو فهر محمود محمّد شاكر بين الدّرس الأدبي والتّحقيق لمحمود إبراهيم الرّضواني.

هذا وما كان من تقصير فهو منّي ، وما كان من توفيق فهو فضل من اللّه أوّلا وأخيرا ، ثمّ الفضل للأستاذ المشرف "الدّكتور هاشمي الطّاهر" الّذي كان خير مرشد وموجّه فجزاه اللّه عنّا خيرا.

تمّ بحمد اللّه وفضله يوم : 26رمضان 1440ه

الموافق ل 31 ماي 2019م

مدخـــــــــــــــل

" مسار تطوّر النّقد العربي من الذّوق إلى المنهج"

المدخل :

«مسار تطوّر النّقد العربي من الذّوق إلى المنهج».

مدخل :

لقد عرف النّقد الأدبي في معظم الثّقافات الإنسانيّة، وإذا كانت هذه الثّقافات قد عرفت الأدب سواء شعرا أو نثرا في مراحل مبكّرة، فمن الطّبيعي أن يفرز ذلك آراء نقديّة حول ما يقدّمه المبدعون.

والنّقد فطرة في الإنسان قبل أن يكون في الأدب أو في غيره، وقد عرف معاني كثيرة منها جاء في معجم العين للخليل بن أحمد :

« النّقد : تمييز الدّراهم وإعطاؤكها إنسانا وأخذها ، والانتقاد .

والنّقد: ضرب جوزة بالإصبع لعبا ، ويقال : نقد أرنبته بأصبعه إذا ضربها قال خلف:

وأَرنَبَةٌ لك مُحمَرَّة***يكاد يُفَطّرُها نقده.

أي يشقّها عن دمها ، والمنقدة ، خزيفة تنقد عليها الجوزة ، وكلّ شيء ضربته بإصبعك كنقد الجوزة فقد نقدته ، والطّائر ينقد الفخّ أي ينقره بمنقاره والإنسان ينقد بعينه إلى الشّيء وهو مداومة النّظر واختلاسه حتى لا يفطن له ، وتقول : مازال بصره ينقد إلى ذلك الشّيء نقودا».[1]

كما ورد في لسان العرب :

« النّقد : خلاف النّسيئة ، والنّقد والتّنقاد : تمييز الدّراهم وإخراج الزّيف منها وأنشد سيبويه :

تنفي يداها الحصى في كلّ هاجرة ***نفي الدّنانير تنقاد الصّياريف

والنّقد تمييز الدّراهم وإعطاؤكها إنسانا وأخذها.

والانتقاد والنّقد مصدر نقدته دراهمه .

وناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر.

[1] الخليل بن أحمد ، معجم العين ، ج5 ، تحقيق مهدي المخزومي ، إبراهيم السّامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، ص118.

ونقد بإصبعه أي نقر ، ونقد الرّجل الشّيء بنظره ـ ينقد ـ نقدا ونقد إليه : أي اختلس النّظر نحوه ، ومازال فلان ينقد بصره إلى الشّيء إذا لم يزل ينظر إليه.

وفي حديث أبي الدّرداء أنّه قال « إن نقدت النّاس نقدوك ، وإن تركتهم تركوك" ، ومعنى نقدتهم أي غبتهم واغتبتهم قابلوك بمثله».[1]

والمعنى الأوّل هو الأقرب لمفهومه الاصطلاحي : فالنّقد في «حقيقته تعبير عن موقف كلّي متكامل في النّظرة إلى الفنّ عامّة أو إلى الشّعر خاصّة يبدأ بالتّذوق أي القدرة على التّمييز ، ويعبر منها إلى التّفسير والتّحليل والتّقييم.....»[2]

وما يمكن قوله هو أنّ العرب لم تعرف النّقد الأدبي كمصطلح إلاّ في عصر متأخّر ، وقد تطوّر على مراحل ، ويظهر أنّ هذا الاستعمال قد شاع في القرن الثّالث الهجري ، فقد روي عن بعضهم أنّه قال : « رآني البحتري ومعي دفتر شعر فقال : ما هذا؟ ، فقلت : شعر الشّنفرى ، فقال : وإلى أين تمضي؟ فقلت : إلى أبي العبّاس أقرؤه عليه ، فقال : قد رأيت أبا عبّاسكم هذا منذ أيّام عند ابن ثوابة ، فما رأيته ناقدا للشّعر ، ولا مميّزا للألفاظ.....

واستعمل الشّعراء النّقد بهذا المعنى كذلك ، فقال بعضهم :

إنَّ نقد الدّينار إلاّ على الصي***رف صعبٌ فكيف نَقدُ الكلام».[3]

وقد ورد هذا المصطلح عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين في قوله:

« والجهابذة جمع جهبذ ، وهو النّاقد الخبير» [4]

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ج3 ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1414ه ، ص426.

[2] إحسان عبّاس : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ، نقد الشّعر من القرن الثّاني حتىّ القرن الثّامن الهجري ، دار الثّقافة ، بيروت ، لبنان ، ص14.

[3] أحمد بدوي ، أسس النّقد الأدبي عند العرب ، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر ، 1969م ، ص2.

[4] أبو عثمان بن بحر الجاحظ : الحيوان ج1 ، تحقيق وشرح : عبد السّلام هارون ، دار الجيل ، بيروت 1416ه/1996م ، ص75.

ويقول :أبو عمر بن العلاء فيما نقله الرّاغب الأصفهاني عنه : «انتقاد الشّعر أشدّ من نظمه ، واختيار الرّجل قطعة من عقله».[1]

ولم يستقر هذا المصطلح إلاّ مع قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشّعر) والّذي ربط فيه مصطلح النّقد بالشّعر وفي ذلك يقول:«ولم أجد أحدا وضع في نقد الشّعر وتخليص جيّده من رديئه كتابا».[2]

ورغم أنّ العرب لم تعرف هذا المصطلح الأدبي إلاّ في وقت متأخّر «إلاّ أنّها مارسته عملا وسليقة ومنذ زمن طويل » .[3]

وفي سياق ذلك يقول صاحب العمدة ابن رشيق : « قد يميّز الشّعر من لا يقوله كالبزّار يميز من الثّياب ما لم ينسجه ، والصّيرفي يخبر عن الدّنانير ما لم يسبكه ولا ضربه ، حتى إنّه ليعرف مقدار ما فيه من الغشّ فينقص من قيمته» .[4]

ومن هنا يمكن القول بأنّ تاريخ النّقد عند العرب هو نفسه تاريخ النّظم ، وقد ارتبط بالشّعر أكثر من ارتباطه بالنّثر لأسباب كثيرة لا يتّسع المجال لذكرها.

وممّا لا ريب فيه « أنّ المراحل الّتي قطعها الشّعر في صورته الجاهليّة غامضة ، فليس بين أيدينا أشعار تصوّر أطواره الأولى ، وإنّما بين أيدينا هاته الصّورة التّامّة لقصائده ، وهاته الصّورة كما أدركها القدماء أنفسهم هي الحلقة الأخيرة من حلقات تطور القصيدة الجاهليّ » .[5] ممّا يلقي ستارا بيننا وبين طفولة هذا الشّعر ونشأته.

---

[1] الرّاغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء ، ط1 ، شركة دار الأرقم بيروت 1420ه ، ص33.

[2] قدامة بن جعفر : نقد الشّعر ، مطبعة الجوائب ، قسنطينة ، ط1 1302ه ، ص2.

[3] ينظر : أحمد بدوي : أسس النّقد الأدبي عند العرب ، ص2.

[4] ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، ج1 ، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد ، ط4 ،دار الجيل بيروت 1972م ، ص117.

[5] عبد القادر هنّي : دراسات في النّقد الأدبي عند العرب من الجاهليّة حتى نهاية العصر الأموي ، ط6 ، ص13.

« وإن كان النّاقد الأوّل قد ظهر إلى الوجود مع الشّاعر الأوّل ، وإن كانت أوّليات الشّعر غير معروفة لنا فإنّ أوّليات النّقد الأدبي قد غابت عنّا تبعا لذلك ».[1]

وإذا كان النّقد العربي قديما قدم النّص الشّعري في ذاته « فإنّه لاشكّ نشأ مرتجلا يستمدّ طبيعته من روح الشّعر العربي وسيمات البيئة العربية ولم يتأثّر بمؤثّرات أجنبيّة ، وإنّما كان قائما على الذّوق العربي الخالص».[2]

ومقياس الذّوق « لا يتعارض ونتيجة الأحكام الموضوعية وبخاصّة إذا كان الحكم ناتجا عن الذّوق السّليم » .[3]

وقد قطع النّقد العربي أشواطا ومرّ بمراحل في تطوّره:

فإذا ما وقفنا عند أولى محطّات ومراحل النّقد في العصر الجاهلي وجدنا أنّ هناك صور ونماذج كثيرة ومتشعّبة ولكنّها ترجع في مجموعها « إ لى صورتين : 1- النّقد الذّاتي التّأثري.

2- النّقد الّذي مبعثه الرّوية والأناة » .[4]

ومن صور النّقد التّأثري الّتي أوردتها مصادر الأدب:

« أنّ عرب الجاهليّة كانت تحكم على بعض الأبيات بالتّفرد فتقول : هذا أفخر بيت ، وهذا أهجى بيت ،وهذا أعزل بيت ».[5]

وذكر حمّاد الرّاوية « أنّ العرب كانت تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه كان مقبولا ، وما ردّوه كان مردودا ، وذكر أنّ علقمة لمّا أنشدهم قصيدته :

---

[1] _ عبد العزيز عتيق : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ، دار النّهضة العربيّة ، بيرون لبنان ، ص21/20.

[2] _ ينظر : طه أحمد إبراهيم : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى القرن الرّابع الهجري ، المكتبة الفيصليّة ، مكّة المكرّمة ، 1425ه/2004م ، ص39.

[3] _ هند حسين طه : النّظرية النّقدية عند العرب ، دار الرّشيد للنّشر ، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، 1981 ، ص41.

[4] _ مصطفى عبد الرحمان إبراهيم : في النّقد الأدبي القديم عند العرب ، مكّة للطّباعة 1419ه/1998م ، ص29.

[5] _ عبد العزيز عتيق : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ، ص21/20.

هل ما علمت وما استودعت مكتوم***أم حبلها إن نأتك اليوم مصروم

قالوا: هذه سمط الدّهر ، فلمّا عادوا أنشدهم قصيدته :

طحا بك قلب في الحسان طروب***بعيد الشّباب عصر حان مشيب

قالوا : هاتان سمطا الدّهر».[1]

ومن هذا القبيل أيضا « ما رواه الأصمعي من أنّ العرب كانت تفضل قصيدة سويد بن كاهل وتقدّمها وتعدّها من حكمها وتسمّيها (اليتيمة) وهي القصيدة الّتي مطلعها:

بسطت رابعة الحبل لنا ***فوصلنا الحبل منها ما اتّسع ».[2]

ورغم أنّ هذا الاختيار قائم على فكرة المفاضلة غير أنّنا لا نجد تعليلا واضحا ، وسببا جليّا للاستحسان.

وهذا ما يمكن قوله أيضا عن « تعليق الجاهليين لمجموعة من مطوّلاتهم على أستار الكعبة ، لأنّ ذلك إن وجد حقّا يعدّ ضربا من النّقد ، لأنّ الاختيار ـخصوصا إذا كان جماعياـ يعبّر ضمنيا عن المثل الجماليّة الّتي كان يشترطها النّاس يومئذ في الشّعر ، والقاسم المشترك بينها يكون المعيار العام الّذي اختيرت على أساسه ، غير أنّنا لا نجد تعليلا صريحا لاختيار هذه المجموعة دون غيرها ».[3]

غير أنّ ذلك لا ينفي وجود صور أخرى للمفاضلة القائمة على الذّوق المعلّل منها:

ـ حكومة أمّ جندب بين زوجها امرئ القيس وعلقمة الفحل في « أوّل قضاء أدبي يسجّله التّاريخ ، حيث روى ابن قتيبة في ترجمته علقمة قال : وسمّي

---

[1] _ طه أحمد إبراهيم : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرّابع الهجري ، ص27/26.

[2] _ عبد العزيز عتيق ، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ، ص27.

[3] _ عبد القادر هنّي : دراسات في النّقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي ، ص24.

الفحل لأنّه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أمّ جندب لتحكم بينهما، فقالت: قولا شعرا تصفان فيه الخيل ، فقال امرؤ القيس :

خليليّ مرّا بي على أمّ جندب***لنقضي حاجات الفؤاد المعذّب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران في كلّ مذهب***ولم يك حقّا كلّ هذا التّجنب

ثمّ أنشداها جميعا ، فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك ، فقال : وكيف ذلك؟ فقالت: لأنّك قلت :

فللسّوط ألهوب وللسّاق درّة***وللزّجر منه وقع أهوج منعب.

فجهدت فرسك بسوطك ، ومريته بساقك ، وقال علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه***يمرّ كمرّ الرّائح المتحلّب.

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه ، لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره ، فقال : ما هو بأشعر منّي ، ولكنّك له وامقة ، فطلّقها ، فخلف عليها علقمة فسمّي بذلك الفحل » .[1]

وهنا نلاحظ « أنّ أمّ جندب قدّمت تعليلا موضوعيا بعيدا عن الذّاتية في تفضيلها شعر علقمة على شعر امرئ القيس ، إذ لاحظت أنّ صورة فرس علقمة في قصيدته أكمل من صورة فرس امرئ القيس ، وبالتّالي فهي أقرب إلى ذوق الجاهليين الّذين يبحثون عن المثاليّة في كلّ شيء ».[2]

ومن نماذج ذلك أيضا ما روي عن «ا لنّابغة في حكومته بين الشّعراء حيث كانت تضرب له قبّة بسوق عكاظ فتأتيه الشّعراء فتعرض أشعارها عليه فأتاه الأعشى فأنشده ، ثمّ أتاه حسّان بن ثابت فأنشده:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضحى***وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

---

[1] لبن قتيبة الدّنيوري : الشّعر والشّعراء ، تحقيق أحمد شاكر ، ط2 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1998 ، ص108/107.

[2] ينظر : عبد القادر هنّي : دراسات في النّقد اللأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الموي ، ص28.

ولدنا بني العنقاء وابني محرّق***فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال له النّابغة : أنت شاعر ، ولكنّك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك » .[1]

فالنّأبغة هنا رأى «أنّ حسّانا كان في موضع فخر بمحامد قومه ممّا يقتضي التّكثير في الوصف لا التّقليل ، لذا كان عليه أن يستخدم الجفان بدلا من (الجفنات) ، السّيوف بدلا من (الأسياف) ، والبيض بدلا من (الغرّ) والإشراق بدلا من (اللّمعان) ، والجريان بدلا من (القطر) ، وكان عليه وفقا لقيم بيئته ومثلها العليا أن يفخر بآبائه وما كان لهم من سؤدد ومجد عريق لا أن يقتصر على الفخر بمن ولد».[2]

وهنا استطاع النّابغة أن يدرك بسليقته الفروق الدّقيقة بين معاني المفردات .

وقريب من هذا « ما روي بأنّ المسيّب بن علس مرّ بمجلس لبني قيس بن ثعلبة فاستنشدهم فأنشدوه:

ألا أنعم صباحا أيّها الرّبع واسلم.***نحيّيك عن شحط وإن لم تكلّم

فلمّا بلغ لقوله:

وقد أتناسى الهمّ عند ادكاره*** بناج عليه الصّيعرية مكدم

فقال له طرفة وهو صبيّ يلعب مع الصّبيان : استنوق الجمل».[3]

وهنا نجد أنّ طرفة عاب على المسيّب وضع الألفاظ في غير موضعها لأنّ الصّيعرية سمة في عنق النّاقة خاصّة ، وبهذا يكون قد برّر موقفه من شعر المسيّب ، ولم يكتف بمجرّد الانفعال به

---

[1] _ عبد العزيز عتيق : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ، ص29.

[2] _ عبد القادر هنّي : دراسات في النّقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي ، ص31.

[3] _ ينظر : المرجع السابق ، ص26.

ومن مظاهر هذا النّقد أيضا ما عرف بالشّعر الحولي أو المنقّح الّذي كان أصحابه يراجعونه قبل إخراجه للنّاس تجنّبا للنّقد.

وممّا لا شكّ فيه أنّ عمليّة التّنقيح هذه لن تقتصر على جانب واحد من القصيدة بل تعيد النّظر فيها شكلا ومضمونا حتى تبلغ المستوى الفني الّذي يريده الشّاعر والّذي يرضي أذواق الجماهير ، وهو ما عناه الجاحظ بقوله : « ومن الشّعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا وزمنا طويلا يردّد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله ، ويقلّب فيها رأيه ، اتّهاما لعقله وتثبّتا على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره إشفاقا على أدبه ، وإحرازا لما خوّله الله تعالى من نعمته.»[1]

ومن هنا يمكن القول بأنّ العصر الجاهلي عرف لونين من النّقد نقد انطباعي مبني على التّذوق الفنّي ، والنّظرة الجزئية ، ونقد استطاع أن يتخطّى الانطباعية إلى التّعليل بما أتاحته له طبيعة الحياة العقلية حينذاك « وإن كان هذا النّقد أيضا مبني في غالبه على النّظر إلى مجموعة قليلة من الأبيات ، ويبدو أن للشّفوية أثر في ذلك لأنّ النّظر إلى كلّ عناصر القصيدة وأقسامها عند تقويمها يتطلّب أن تكون مكتوبة» [2] وهذا ما لم يتوافر في ذلك الوقت.

ورغم مارأيناه من نماذج للنقد المعلل إلا أننا « نجد من نقّادنا المحدثين من نفى عن عرب الجاهليّة ملكة التّحليل والتّعليل في النّقد الأدبي واستنكروا عليهم أو استبعدوا عنهم أن يأتوا بالنّقد المعلّل القائم على الفكر القومي الّذي ظهر واضحا في قصّة النّابغة وحسّان بن ثابت ، كما ظهر في المقاييس النّقدية الّتي ارتضتها حكومة أم جندب واشترطتها على الشّاعرين الّذين تحاكما إليها ، والقرآن فوق كلّ هذا خير دليل على عبقرية الذّوق الجاهلي ، فالقرآن في بلاغته الّتي نعرفها إنّما كان يخاطب قوما يفهمونه ويتذوّقونه ، وفهم القرآن وتذوّقه لا يمكن أن يقع لأيّ كان ، ولا يمكن أن يقع اتّفاقا بلا استعداد ، ولا بدّ من وجود ثقافة أدبيّة عند الجماهير الّتي

[1] _ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتّبيين ج2 ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1423ه - ص8.

[2] _ ينظر : عبد القادر هنّي : دراسات في النّقد الأدبي عند العرب ، ص34.

سمعته والنّفوس الّتي تأثّرت بأسلوبه فآمنت به ، وهذا يدحض التّقاليد الّتي جرى عليها بعض الباحثين في كثير من أحكامهم على الجاهليين واتّهامهم بأنّهم أمّيون يغلب عليهم طابع البداوة والسّذاجة » .[1]

النّقد بين الذّوق الفنّي والمعيار الدّيني:

وإذا ما انتقلنا إلى عصر صدر الإسلام وهو «من الفترة الممتدة من البعثة المحمّدية المباركة وبين قيام الدّولة الأمويّة، وجدنا أنّ النّقد بمفهومه الفنّي لم يكن على النّحو الّذي يرتضيه دارسو النّقد الأدبي »[2] ، ذلك أنّ الإسلام ألقى على الشّعر رداءه فقبل منه ما كان مماشيا لتعاليم الدّين وأحكامه ، وذمّ منه ما كان منافيا لها ، فاختفت بذلك بعض من أغراض الشّعر الجاهلي وتبعا لذلك فقد حرص الإسلام على إخضاع الموقف الجمالي والفنّي في النّقد للموقف الدّيني ، وهو ما تجلّى في الإطار العام لموقف الإسلام من الشّعر.

ولقد كان النّبي صلّى الله عليه وسلّم يدرك مكانة الشعر عند العرب وتأثيره في نفوسهم ، لذا قال عليه الصّلاة والسّلام «الشّعر سجع من كلام العرب به يعطى السّائل ، ويكظم الغيظ ، وبه يؤتى القوم في ناديهم».[3]

وقال « لا تدع العرب الشّعر حتى تدع الإبل الحنين ».[4]

« وإذا ما نظرنا إلى ما أثر عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم من أحاديث وتعليقات على الشّعر والشّعراء باستحسان أو استهجان نجدها قد ركّزت على مضمون الشّعر ومادّته ، وتوقّفت بإصرار عند ما فيه من قيم وأفكار»[5] لحرصه على تصويب معاني الشّعراء وجعلها موافقة لتعاليم

---

[1] هند حسين طه : النّظرية النّقدية عند العرب ، ص33 ، ص34.

[2] ينظر : عبد القادر هني : دراسات في النقد الأدبي عند العرب ، ص61

[3] ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، ص27.

[4] إخلاص فخري عمارة ، الإسلام والشّعر (دراسة موضوعية) ، مكتبة الآداب ، ميدان الأوبرا القاهرة ، ص36.

[5] مصطفى إبراهيم طه : في النّقد الأدبي القديم عند العرب ، ص68.

الدّين ، وفي ذلك يقول عليه الصّلاة والسّلام « إنّما الشّعر كلام مؤلّف فما وافق الحقّ منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه».[1]

وقد سمع مرّة كعب بن مالك يقول :

« مدافعنا عن جذمنا كلّ فخمة ***مذرّبة فيها الفوانس تلمع

فطلب منه أن يبدل كلمة (جذمنا) بكلمة (ديننا) ليكون البيت منسجما مع الرّوح الجماعيّة الّتي أرادها الإسلام أن تكون جامعة للنّأس بدلا من العرق والانتماء للقبيلة ».[2]

ولم يقتصر تصويب النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم على منظوم القول ، بل شمل عموم الكلام شعره ونثره ، وقد رويت عنه في ذلك أقوال كثيرة منها نهيه عن التّكلف والتّشدق كما جاء في قوله صلّى اللّه عليه وسلّم :«هلك المتنطّعون ، أو هلك المكثرون أو كما جاء في حديث آخر : إنّ أبغضكم منّي مجلسا يوم القيامة الثّرثارون والمتشدّقون والمتفيقهون ».[3]

ومثلما نهى عن المبالغة في الكلام فقد نهى عن السّجع المماثل لأسجاع الكهّان.

وإذا تتبّعنا مواقف الصّحابة رضوان اللّه عليهم من الشّعر لوجدناها موافقة لموقف القرآن وموقف النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم الّذي كان قدوتهم في كلّ قول أو عمل.

وكثيرة هي الشّواهد الّتي تدلّ على مدى اهتمامهم بالشّعر وتقديرهم له حتى « أنّ منهم من كان يجري الشّعر على لسانه في بعض المواقف والمناسبات ، ودليل ذلك قول سعيد بن المسيّب : كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعر ، وعليّ أشعر الثّلاثة ».[4]

---

[1] ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، ص27.
[2] عبد العزيز عتيق : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ، ص47.
[3] مصطفى عبد الرحمان إبراهيم ، في النّقد الأدبي القديم عند العرب ، ص73.
[4] ينظر : إخلاص فخري عمارة : الإسلام والشّعر ، ص66.

وقد كانوا على معرفة وبصيرة بالشّعر وضروبه خاصّة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فله مع الشّعر والشّعراء مواقف مشهورة تنمّ عن حسّ ذوقي ، فقد كان يسأل وفود القبائل عن شعرائهم ، ويستنشدهم ويبدي رأيه فيما يسمع ، كما كان كثير الاستشهاد بالشّعر يقول الجاحظ : « ما أبرم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أمرا إلاّ وتمثّل ببيت من الشّعر».[1]

وقد كان يعجب من قول زهير بن أبي سلمى :

« فإنّ الحقّ مقطعه ثلاث*** يمين أو نفار أو جلاء

ولذلك سمّاه "قاضي الشّعراء ».[2]

وهو عنده «أشعر الشّعراء لأنّه لا يفاضل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيّه ، ولا يمدح الرّجل إلاّ بما فيه.»[3]

وهذه الملاحظة تدلّ على إمعان عمر النّظر في شعر زهير شكلا ومضمونا إذ كان صادقا في شعره ، لا يمدح الرّجل إلاّ بما فيه ، ولا يداخل بين العبارات ، ولا يستعمل غريب الألفاظ ، وبالتّالي فقد جمعت ملاحظته بين المعيار الفنّي والأخلاقي معا.

وإن كان زهير أشعر الشّعراء عند عمر فإنّ امرأ القيس عنده أوّلهم وأسبقهم في ابتكار المعاني ، « فقد سأله العباس بن عبد المطّلب عن الشّعراء فقال له: « امرؤ القيس سابقهم ، خسف لهم عين الشّعر فافتقر عن معاني العور أصحّ بصر».[4]

وهو في ذلك يتوافق مع رأي الإمام عليّ كرّم الله وجهه الّذي يرى أنّ الشّاعر الّذي يقول بدافع الرّغبة أو الرّهبة لا بدّ أن ينزلق إلى الكذب تحقيقا للأولى أو درءا للثّانية وقد أثّر فيه قوله : « لو أنّ الشّعراء المتقدّمين ضمّهم

---

[1] محمّد خضر : النّقد الأدبي عند العرب (الخطوات الأولى) ، دار العلم والإيمان للنّشر والتّوزيع ، دسوق ميدان المحطّة ، شارع الشركات 2001 ، ص70.

[2] خالد يوسف : في النّقد الأدبي وتاريخه عند العرب ، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع ، بيروت ، لبنان 1987، ص58.

[3] ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشّعر ونقده ، ص98.

[4] المرجع نفسه ، ص94.

زمان واحد ، ونصبت لهم مدرسة واحدة فجروا معا علمنا من السّابق منهم وإذا لم يكن ، فالّذي لم يقل لرغبة ولا لرهبة ، فقيل : من هو؟ قال : لأنّي رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ».[1]

وهذا الحكم بأسبقيّة امرئ القيس في التقاط معاني الشّعر وابتكار طرائقه ينمّ عن ذوق أدبي ، ومعرفة بأغوار الشّعر وضروبه «كما يضع أساسا هامّا للموازنة وهو أنّه لا تفاضل بين الشّعراء إلاّ إذا جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول »[2].

وخلاصة ما يمكن قوله هو أنّ الإسلام كان الميزان لكلّ قول أو فعل في عصر صدر الإسلام ، لذا جاء موقف الرّسول صلّى الله عليه وسلّم مجسّدا لموقف القرآن الكريم ، وموقف خلفائه من بعده موافقا لموقفه ، فقبلوا من الشّعر جاهليه وإسلامه ما وافق المضمون الأخلاقي والدّيني ، ورفضوا ما جانبه ، فتوحّد لديهم المعيار الأخلاقي القائم على أساس الصّدق والحقّ.

كما التقت ملاحظاتهم ورؤاهم النّقدية في كثير من المواقف ، ممّا يعني أنّ الذّوق الفنّي الّذي عهدناه عند الجاهليين ظلّ مستمرّا حتّى في عصر النبوّة وكلّ ما هنالك أنّ الإسلام هذّب هذا الذّوق وفق ما يتماشى وتعاليمه.

الذّوق ...من السّليقة إلى الإكتساب:

شهدت الحركة النّقدية تطوّرا ملحوظا في العصر الأموي ، حيث كانت هنالك عدّة عوامل مرتبطة ببعضها ساهمت في إذكاء جذوة النّقد الأدبي وأهمّها التّغيرات السّياسية والصّراع بين بني أميّة والأحزاب المعارضة لهم حول أحقّية الخلافة.

وهذا الصّراع لم يقتصر في أساليبه على السّيف وحده ، « بل كان الشّعر وسيلة ثانية استخدمها الأمويون في تثبيت ملكهم ، وكذا كان لباقي الأحزاب المعارضة شعراؤها النّاطقون باسمها ، أمّا من حيل بينه وبين المعترك

[1] _ ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشّعر ونقده ، ص94.
[2] _ ينظر : مصطفى إبراهيم طه : في النّقد الأدبي القديم عند العرب ، ص93.

السّياسي من الشّعراء فراح يغرّد لنفسه ، وينشد شعرا غنائيا عاطفيّا بعيدا عن السّياسة ومهالكها ».[1]

هذا إضافة إلى الأسواق الأدبيّة الّتي كانت أشبه بعكاظ في الجاهليّة وأشهرها «الكناسة والمربد الّذي خلّف لنا مجموعتين كبيرتين من الشّعر تمثّلت في الأراجيز والنّقائض الّتي اشتهر بها الثّالوث جرير والأخطل والفرزدق ».[2]

كما كانت مجالس الخلفاء والولاّة «أشبه بالمنتديات الأدبيّة فيها تنشد الأشعار ، ويتبارى الرّواة لذكر النّادر والغريب من شعر أو حديث».[3]

وقدهيأت هذه الظروف لازدهارالشعر« في ثلاثة معاقل هي: الحجاز والعراق والشّام ، والبيئات الّتي أزهر فيها الشّعر هي نفسها الّتي أثمر فيها النّقد وأخصب ، وكان لكلّ نقد في هذه البيئات لون خاصّ يتبع الشّعر في تلوّنه فشاع المدح في الشّام لكونها معقل الخلافة ، وشاع الهجاء والفخر في العراق الّتي كانت تمثّل بؤرة المعارضة ، في حين كان الغزل اللّون الغالب على بيئة الحجاز لما اتّسمت به ترف وحضارة ».[4]

وبذلك نجد أنّ أهل الشّام «وضعوا للمديح آدابه ، وبيّنوا أنّ ما يمدح به الملوك غير ما يمدح يه الآخرون».[5]

هذا إضافة إلى «التفات النّقد الشّامي إلى المفاضلة بين الشّعراء والمعاني وعدم التّجديد ، وقلّة الذّوق ، وعدم مطابقة الكلام لمقتضى الحال».[6]

---

[1] خالد يوسف : في النّقد الأدبي وتاريخع عند العرب ، ص67.
[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص83.
[3] فضل ناصر حيدرة مكّوع العلوي : نقد النّص الأدبي حتى نهاية العصر الأموي ـ أطروحة دكتوراه ـ مجلس كليّة الآداب جامعة الكوفة 2003 ، ص132 ، 234.
[4] ينظر : خالد يوسف : في النّقد الأدبي وتاريخع هند العرب ، ص88/66.
[5] مصطفى عبد الرّحمان إبراهيم : في النّقد الأدبي القديم عند العرب ، ص125.
[6] ينظر : خالد يوسف : في النّقد الأدبي وتاريخه عند العرب ، ص89.

وقد كان لخلفاء بين أميّة سهم وافر في نقد الشّعر وتذوّقه وأبرزهم في ذلك «عبد الملك بن مروان الّذي كان يشارك جلاّسه في المفاضلة بين الشّعراء ، والّتي كانت تبنى على الذّاتية تارة ، وعلى التّعليل تارة أخرى.

والمدح الجيّد عند عبد الملك هو الّذي يكون خالصا للممدوح فقد روي أنّ (السّلولي) أنشده قصيدة خلطها مدحا بفخر ، فقال له :واللّه ما مدحت إلاّ نفسك ».[1]

أمّا بيئة الحجاز فقد غلب عليها طابع الحضارة ،«وتطوّر الشّعر الحجازي وغلب عليه الغزل الماجن الّذي حمل لواءه مجموعة من الشّعراء كالعرجي وعمر بن أبي ربيعة ، وفي مقابل ذلك وجد غزل عفيف سار على نمط القديم ، ومن شعرائه : كثير عزّة ، وجميل بن معمر».[2]

ومن أبرز صور النّقد في هذه البيئة « إضفاء الألقاب على الشّعراء واستقباح الحجاز بين مدح الشّاعر نفسه في النّسيب ، كما فطنوا إلى دور العاطفة وأثرها في خلق الشّعر الصّادق المؤثّر ، فالشّعر الصّادر عندهم عن قلب ملتاع وعاطفة جيّاشة أفضل من شعر يوحيه العقل والمنطق».[3]

أمّا النّقد في بيئة العراق فتمثّل أكثره « في المفاضلة بين الشّعراء بصورة عامّة ، وبين الثّلاثي جرير والفرزدق والأخطل بصورة خاصّة».[4]

وفي هذه الفترة لاحت بوادر الحديث عن سرقات الشّعراء «حيث بات من يأخذ عن غيره معرّضا للسّخرية ، ويشهد على ذلك ما جاء في الأغاني من أنّ الفرزدق لقي كثيرا بقارعة البلاط فقال له الفرزدق : يا أبا فخر أنت أنسب العرب حين تقول :

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما ***تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

تعرّض له بسرقته من قول جميل ، فقال له كثير : وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حين تقول:

---

[1] ينظر : المرجع السابق ، ص91.
[2] ينظر : خالد يوسف : في النّقد الأدبي وتاريخه عند العرب ، ص68.
[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص74/73.
[4] ينظر : المرجع نفسه ، ص84.

ترى النّاس ما سرنا يسيرون خلفنا ***وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقّفوا

وهذا البيت أيضا لجميل».[1]

ومهما تعدّدت صور النّقد في هاته الفترة وكثر الخائضون فيه إلاّ أنّه لم يخرج عن صورته الّتي كان عليها في العصر الجاهلي.

ورغم ذلك فقد وجدت فيه نفحة من نفحات النّقد في عصر صدر الإسلام مثّلتها فئة الفقهاء إلى جانب الخليفة عمر بن عبد العزيز الّذي كان يقيس الشّعر بميزان الدّين متّبعا في ذلك سيرة النّبي صلّى الله عليه وسلّم وخلفائه من بعده .

أمّا النّقد المبني على الذّوق العلمي فقد لاحت بوادره في أواخر العصر الأموي مع فئة اللّغويين والنّحاة « الّذين راحوا يتتبعون سقطات الشّعراء ويحصون هفواتهم في استعمال الألفاظ وضبطها ، وسبب إيثارهم إيّاها دون غيرها مستعينين في ذلك بالأصول المقرّرة في اللّغة والنّحو والعروض وتقرير الأدب ، منبّهين على مخالفة بعض الشّعراء لنهج العرب في كلامهم».[2]

النّقد بين الذّوقية والتّأليف المنهجي :

« منذ أواخر القرن الثّاني للهجرة بدأ النّقد الأدبي يخطو خطوات جديدة نحو العمق والتّحليل الواضح » .[3] خاصّة مع ظهور حركة التّدوين ، ثمّ ازداد تطوّرا في القرن الرّابع الهجري « حيث ظهرت العلوم ، واتّسعت المعارف وتنوّعت الثّقافات العربيّة والأجنبيّة المترجمة عن الفرس والهند واليونان وغيرهم ، وكان لهذا كلّه أثر كبير في تطوّر الأدب والنّقد على حدّ سواء » .[4]

---

[1] ينظر : خالد يوسف : في النّقد الأدبي وتاريخه عند العرب ، ص84/76.

[2] فضل ناصر حيدرة مكوع العلوي : نقد النّص الأدبي حتى نهاية العصر الأموي ، ص343.

[3] أحمد أمين : النّقد الأدبي ـ دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1387 ، 1962 ، ص468.

[4] مصطفى عبد الرّحمان إبراهيم : في النّقد الأدبي القديم عند العرب ، ص143.

ولعلّ أهمّ عامل فجّر الثّورة النّقدية هو الدّرس الإعجازي الّذي تناول النّص القرآني بالدّراسة والتّحليل ، ومقارنته بالنّص الشّعري «وخصائص البيان العربي بصفة عامّة ، فاستخدم علماء الإعجاز في ذلك الوسائل الّتي استخدمها نقّاد الشّعر ، بل إنّ بعض الدّراسات القرآنيّة قد استخدمت من المصطلحات البيانيّة ما لم يكن شائعا حتى في دراسات نقد الشّعر».[1]

فبرز بذلك جماعة «من النّقاد كان لهم نشاط مؤثّر في عالم النّقد بما ألّفوه من كتب ضمّنوها آراءهم ونظرياتهم الفنّية في الشّعر والنّثر ، وأهمّ هؤلاء ابن سلاّم صاحب كتاب (طبقات فحول الشّعراء) ، والجاحظ صاحب كتاب (البيان والتّبيين) ، وابن قتيبة صاحب (الشّعر والشّعراء) و(أدب الكاتب) وغيرهم ».[2]

وقد كانت هذه المصنفات هي اللّبنات الأساسيّة للنّقد المنهجي وهو ذلك «النّقد الّذي يقوم على أسس نظريّة أو تطبيقيّة عامّة ، ويتناول بالدّرس مدارس أدبيّة أو شعراء أو خصومات يفصل القول فيها ويبسط عناصرها ويبصر مواضع الجمال والقبح فيها».[3]

فتعدّدت بذلك زوايا القرّاء النّقدية للشّعر ، وتوسّعت قضاياه ، ومنها ما أصبحت تفرد له المصنّفات كالموازنة والمفاضلة على غرار "الموازنة للآمدي" و"الوساطة للقاضي الجرجاني".

ومن أهمّ القضايا الّتي دار حولها الجدل في هاته الفترة قضيّة (الطّبع والصّنعة / اللّفظ والمعنى / السّرقات الأدبيّة / الصّراع بين القديم والحديث....

---

[1] محمّد زغلول سلام : تاريخ النّقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرّابع الهجري ، منشأة المعارف ، الإسكندريّة ، ص18.

[2] مصطفى عبد الرّحمان إبراهيم : في النّقد الأدبي القديم عند العرب ، ص143.

[3] محمّد مندور : النّقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر ، 1996 ، ص05.

ورغم أنّ النّقد في هاته الفترة قد تأثّر مع بعض النّقاد بالفلسفة والمنطق في «وضع التّعاريف والأقسام»[1] وبعض المصطلحات الفلسفيّة إلاّ أنّ الذّوق العربي الأصيل ظلّ هو المحرّك الرّئيس لهذا النّقد ، «ودليل ذلك أنّ العرب حتّى في هاته الفترة ظلّوا ينظرون إلى الأدب القديم والأدب الجاهليّ على أنّه الصّورة المثاليّة الّتي يجب أن تحتذى ، وقالوا حين عابوا المحدث: "هلاّ قال كما قال فلان ...» ، مشيرين إلى شاعر جاهلي ، ولا نكاد نسمعهم في نقدهم التّطبيقي أو العملي يشيرون إلى قول لأرسطو ولا إلى معنى لشاعر يوناني أو غير يوناني».[2]

[1] _ أحمد بدوي : أسس النّقد الأدبي عند العرب ، دار نهضة مصر ، للطبّاعة والنّشر ، 1996 ، ص661.

[2] _ هند حسين طه ، النّظرية النّقديّة عند العرب ، ص359.

الفصل الأول : وقفة لا بدّ منها.

االمبحث الأول : المولد والنّشأة.

المبحث الثّاني :الجامعة ومحنة الشّعر الجاهلي.

المبحث الثالث: محمود شاكر الموقف والكتابة .

المبحث الأول: المولد والنّشأة.

«ولد محمود بن محمّد شاكر بن أحمد بن عبد القادر في مدينة الإسكندرية ليلة الإثنين عاشر محرّم سنة 1327ه/1909م منحدرا من أسرة أبي علياء من أشراف جرجا بصعيد مصر » [1].

كان لعائلة محمود شاكر ونشأته الأولى تأثير كبير على شخصيته وفكره فهو سليل بيت علم ودين وأدب ؛ « والده محمّد شاكر 1939/1866م شخصية أزهرية كبيرة ، وعالم مصري من كبار العلماء ولد بجرجا، وحفظ القرآن الكريم ،وفيها تلقّى مبادئ التّعليم ، ثمّ رحل إلى القاهرة حيث الأزهر الشّريف ، فتلقّى العلم عن كبار العلماء فيه في ذلك العهد ، وفي سنة 1890م عُيّن أمينا للفتوى مع أستاذه الشّيخ العبّاسي المهدي مفتي الدّيار المصرية آنذاك ». [2]

أما والدته فكلّ ما روي عنها من أخبار أنّها «كانت امرأة متديّنة على قدر من الثّقافة ولاسيما الثّقافة الدّينية واللّغوية ، فقد نشأت هي الأخرى في وسط علمي أكثر أهله من المنشغلين بعلوم الدّين واللّغة والأدب والتّأليف فيها ، فأبوها هو الشّيخ هارون بن عبد الرّزاق ولد في قرية بنجا من قرى مركز طهطا بالصّعيد وتعلّم بالأزهر فكان شيخ رواق الصّعايدة فيه ثمّ من أعضاء مجلسه الأعلى ، اشتغل بتدريس اللّغة العربية ، وكان له اهتمام

[1] _ ينظر : محمود محمد الطنّاحي : مدخل إلى نشر التّراث الغربي مع محاضرة عن التّصحيف والتّحريف : مكتبة الحانجي ، القاهرة ط1 ، 1405ه/1984م ، ص105

[2] _ ينظر : عمر حسن القيام : محمود شاكر " الرّجل والمنهج" ، دار البشير _ عمّان_ ط1 ، 1417ه/1997م ، ص19

بالتأليف فترك طائفة من الكتب منها " حسن الصّياغة في فنون االبلاغة " و "عنوان الظّرف في علم الصّرف" ، و " المبادئ النّافعة في تصحيح المطالعة " و " عنوان النّجابة في فنون الكتابة »[1].

أمّا خاله فهو «الشّيخ محمّد بن هارون الذّي كان يتولى منصب رئيس التّفتيش الشّرعي في وزارة العدل / ومن مصنّفاته " تلخيص الدّروس الأولية في السّيرة النّبوية ، " ودروس آداب اللّغة العربية " وهو والد المحقّق المعروف عبد السّلام هارون الذي أربت آثاره العلمية تأليفا وتحقيقا على عشرين ومائة» .[2]

ولمحمود شاكر« ثلاثة أشقّاء هو أصغرهم سنّا ، وهم أحمد وعلي ومحمّد »[3] وأحمد هو أكبرهم وأكثرهم تأثيرا في أخيه محمود بعد والده ،وكثيرا ما كان محمود يتحدّث عن علاقته بأخيه الّذي كان عونا له في مساره العلمي والثّقافي والدّيني والأدبي ، فقد كان له باع كبير في علوم اللّغة والأدب والدّين حيث ألّف وحقّق كتبا كثيرة خاصّة في مجال علم الحديث .

«ويتجلّى أثر أحمد في شقيقه محمود في تلك الثّقافة الواسعة التي حصّلها محمود في علوم الحديث ، وتمكّنه منها تمكّن العالم المتخصّص ويتّضح رسوخ قدمه في علم الحديث ومصطلحاته في مواطن كثيرة ممّا كتب ، على أنّ أهميّة هذه المعرفة الحديثية العميقة لدى محمود إنّما تكمن في سياق هذا البحث في صلتها الوثيقة بمنهجه في دراسة الأدب القديم وتحقيق كتبه ، إذ كان فحص أسانيد الأخبار والآثار والأشعار على طريقة علماء الجرح والتّعديل من الأركان الرّئيسية التي ينتمي إليها منهجه النّقدي».[4]

---

[1] _ ينظر : إبراهيم الكوفحي ، محمود محمّد شاكر ، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 2008 ، ص24 .

[2] _ ينظر : إبراهيم الكوفحي : محمود محمّد شاكر ، سيراه الأدبية ومنهجه النّقدي ، ص25.

[3] _ ينظر : المرجع نفسه ، ص25

[4] _ ينظر : المرجع نفسه ، ص 31/30.

كان البيت الّذي نشأ فيه محمود شاكر هو المدرسة الأولى الّتي تعلّم فيها حبّ الكلمة ، وقد تحدّث عن مدى تأثره بما كان يجري في بيتهم من محادثات ومجالسات علمية وأدبية فقال : « فمنذ بدأت أعقل بعض هذه الدّنيا وأرى سوادها وبياضها بعين باصرة شغلتني الكلمة ، وتعلّق قلبي بها لأنّي أدركت أوّل ما أدركت أنّ الكلمة هي وحدها التّي تنقل إليّ الأشياء التّي أراها بعيني وتنقل إليّ أيضا بعض علائقها التّي تربط بينها ، والتّي لا أطيق أن أراها بعيني ، وكان هذا إدراكا مبهما لا تستطيع طفولتي يومئذ أن تستبينه كل الا ستبانة ولكنّني لا أزال أذكر لمحا كالوميض يلوح ويخفى من عهد أوّل طفولتي ، إذ كنت أسمع من كان في بيتنا حين يتحدّثون بطلاقة لا يستطيع مثلها لسان غضّ قريب عهد بصمت الطّفولة والطّويلة ويعجزها المتلهّف إلى الإبانة وبنزاعها الدّائب إلى محاكاة الكبار».[1]

وإن كان البيت الشّاكري هو المدرسة الأولى الّتي ولّدت في نفس محمود شاكر هذا الإحساس العميق المبهم بالكلمة ، فإنّ الحياة التّعليمية المنظّمة على العكس من ذلك أحدثت في نفسه شرخا وتذبذبا.

فمنذ دخول محمود شاكر المدرسة غادرته السّكينة وداخل نفسه الاضطراب والتّذمر الّذي استمرّ معه حتى الجامعة.

بدأ محمود أولى مراحل تعليمه عندما بلغ به السّابعة من عمره حيث بعث به والده إلى مدرسة أم عبّاس بالقاهرة سنة 1916م ، وقد كانت لهذه اللّحظة وقع خاصّ في نفسه وقد تحدّث عن ذلك في قوله :« ثمّ قذف بي أبي ـ رحمه الله ـ إلى المدرسة ولا أزال أذكر ذلك الرّعب الّذي فضّ نفسي وهالني حين صكّ سمعي ذلك الصّوت المبهم البغيض إليّ منذ ذلك الحين صوت الجرس ، صوت مصلصل مؤذ جاف أبكم ، أعجم ، لا معنى له وإذ هو غلّ يطوّقني ويشلّ إرادتي رنين منكر سرى بالفزع في نفسي وردّد الوجيب الوخّاز في قلبي فكدت أكره المدرسة من يومئذ من جرّاء هذا الجرس الأعجمي الخبيث».[2]

---

[1] _ ينظر : محمود إبراهيم الرّضواني : أبو فهر محمود محمّد شاكر بين الدّرس الأدبي والتّحقيق ، دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ط1 1415ه / 1995م ، ص12.

[2] _ ينظر : المرجع نفسه ، ص 15/14.

وكان درس الإنجليزية أوّل ما تلقّاه محمود شاكر في المدرسة فشغف بهذه اللّغة الجديدة ، وفتنه جرسها الموسيقي حتى أنساه أو كاد إحساسه بلغته العربية ، وضعف تحصيله فيها إلى حدّ كبير.

هذا الانحدار والضّعف الّذي وصل إليه محمود شاكر في اللّغة العربية كان إحدى الغايات المنشودة الّتي كان يسعى إليها نظام المدارس جاهدا يومئذ من خلال الاهتمام باللّغة الإنجليزية وتكثيف ساعاتها ، وتخصيص أفضل الأوقات لتدريسها ، مقابل إهمال اللّغة العربية ، ومحاولة تعليق التّلاميذ بكل ما هو غربي ، وتنفيرهم من كل ما هو عربي ، ولعلّ محمود شاكر أدرك ذلك حين قال : « وصرت في العربية ضعيفا جدّا لا أكاد أجتاز امتحانها إلّا على عسر ، وعلى شفا ، وهكذا أمفذ " دنلوب" اللّعين أوّل سهامه في قلبي من حيث لا أشعر ، ودرجت على ذلك أربع سنوات في التّعليم الابتدائي ، والبلاء يطغى عليّ عاما بعد عام ».[1]

وفي السّنة الرّابعة «رسب محمود في امتحان الشّهادة الابتدائية ولا ملحق لها يومئذ ، فأعاد السّنة على مضض لأنّه كان متمكّنا من الرّياضيات خاصّة ، ومن سائر العلوم عامّة ماعدا العربية».[2]

وكان خير هذه السّنة في شرّها ، حيث أتاحت له متّسعا كبيرا من الوقت ومكّنته من استدراك ما فاته من اللّغة العربية «إذ صار حرّا يذهب إلى حيث يذهب إخوته الكبار إلى الأزهر حيث يسمع خطب الثّوار ، ويدخل " رواق السنارية" وغيره ، وفي هذا الرّواق سمع أوّل ما سمع مطارحة الشّعر وهو لا يدري ما الشّعر إلّا قليلا ، وكان ممّا سمعه في هذه الفترة وتأثّر به وأحبّه شعر أبي الطّيب المتنبي ولذلك كان حريصا على أن يحصل على ديوانه وتمّ له ذلك عن طريق أحد أبناء خاله ممّن كان يومئذ منشغلا بالشّعر والأدب فأعطاه ديوان المتنبّي بشرح اليازجي ، وكان فيما يقول محمود مشكولا جيّد الورق : فلم أكد أظفر به حتّى جعلته وردي في ليلي ونهاري حتّى حفظته يومئذ ، وكأنّ عينا دفينة في أعماق نفسي قد تفجّرت من تحت أطباق الجمود الجاثم ، وطفقت أنغام الشّعر العربي تتردّد في

[1] محمود محمّد الرّضواني : أبو فهر محمود محمّد شاكر بين الدّرس والتّحقيق ، ص15.
[2] إبراهيم الكوفحي : محمود محمّد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النّقدي ، ص32.

جوانحي وكأنّي لم أجهلها قط ، وعادت الكلمة العربيّة إلى مكانها من نفسي وإن لم أجدها زحزت شيئا من الكلمة الإنجليزية».[1]

لقد أعادت هذه السّنة المعادة إلى محمود صلته باللّغة العربية ، وكان ديوان المتنبي الخطوة الأولى في رحلته نحو تذوّق الشّعر العربي خاصّة الجاهلي منه ، لكنّ «التّنازع المرّ بين العربية والإنجليزية ظلّ قائما في نفسه ثمّ انبرى لهما ثالث هو علم الرّياضيات فآثره شاكر على غيره ولأجل ذلك التحق بالقسم العلمي ونال درجة البكالوريا سنة 1950م» .[2]

لقد استطاع حبّه للرّياضيات أن يغضّ النّزاع القائم في نفسه إلى حين لكن سرعان ما عاودته حيرة الاختيار ثانية وهو على أعتاب الجامعة.

« و الّذي أدركه محمود وهو في حومة هذا الصّراع الغامض في أنحاء نفسه على حدّ تعبيره أنّ اللّغة العربية كانت تنال من قلّة اهتمام الطّلبة بها واستهزائهم بدرسها ما يفزع المتأمّل ، وكان هذا الإدراك قد نفذ في أعماق نفسه يرجّها رجّا شديدا ، وأحاطت به الحيرة لا يعرف أين يذهب وكانت الجامعة المصرية قد أنشئت في تلك السّنة فاختار له أبوه أن يلتحق بالقسم العلمي الّذي كان خياره في الثانوي لكنّه أبى إلّا أن يلتحق بكلية الآداب قسم اللّغة العربية»[3]

وقد صوّر شاكر إحساسه يومها ولحظة اختياره تلك بقوله :«لقد انفتحت لي الأبواب المغلقة على إحساسي القديم بخطر الكلمة فإذا هي تفتح بصيرتي فترى وتبصر ما لا يدركه البصر ، وما لا يقع عليه الحسّ وعلّمني كتاب " سيبويه" يومئذ أنّ " اللّغة" هي الوجه الآخر للرّياضيات العليا ومن يومئذ صارت الكلمة عندي هي الحياة نفسها ، هي عقلي ، هي فكري ، هي سرّ وجودي ووجود ما حولي».[4]

---

[1] ينظر : المرجع نفسه ، ص32.
[2] عمر حسن القيّام : محمود شاكر ، الرّجل والمنهج ، ص39/38.
[3] ينظر : إبراهيم الكوفحي ، محمود محمد شاكر ، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، ص33.
[4] المرجع نفسه ، ص33.

وقبل أن يلتحق محمود شاكر بالجامعة كان قد عبّ من معين اللّغة والأدب الشّيء الكثير ، وجالس الكثير من المشايخ ممّن تركوا أثرا كبيرا على شخصيته وأسلوبه .

« فلقد فرغ من قراءة لسان العرب وأغاني أبي الفرج قراءة تامّة أثناء إجازته الدّراسية ، واستظهر ديوان المتنبّي لا يكاد يخرم منه حرفا منذ الرّابعة الابتدائية ودار في أروقة الشّعر الجاهلي ومجاميع الأدب المتوفرة بين يديه كلّها ولمّا تنبت في وجهه شعرة» .[1]

كما تعرّف إلى بعض أهل الأدب وهو لا يزال في مرحلة الثّانوي،« ففي غضون 1922م توثّقت معرفته بالشّيخ سيّد بن علي المرصفي أحد كبار علماء الأزهر ، واتّخذه المرصفي كبعض ولده لسابق معرفته بالشّيخ محمّد شاكر ، وأخذ محمود يقرأ عليه الأدب والشّعر في بيته».[2]

وقد أعجب محمود شاكر بطريقة شيخه الفريدة في الشّرح ، ووصف منهجه في قراءة الشّعر وتذوّقه وصفا يدلّ على مدى تأثّره بشيخه فقال : « وكان الشّيخ حسن التّقسيم للشّعر حين يقرؤه ، فيقف حيث ينبغي الوقوف ويمضي حيث تتّصل المعاني ، فإذا سمعت الشّعر وهو يقرؤه فهمته على ما فيه من غريب أو غموض أو تقديم أو تأخير أو اعتراض فكأنّه يمثّله لك تمثيلا لا تحتاج بعده إلى شرح أو توقّف ، وكان في صوت الشّيخ معنى عجيب من الثّقة والاقتدار ، وفي نبراته حين ينشد الشّعر معنى الفهم للّذي يتلوه عليك ، فلا تكاد تخطئ المعاني الّتي ينطوي عليها لأنّها عندئذ ممثّلة لك في صوته ، والصّوت الإنسانيّ وحده القادر على الإبانة عن المعاني الخفيّة المسكنة في طوايا النّفس».[3]

لقد كان لطريقة شرح المرصفي أثرها البعيد في تذوق شاكر للشّعر وفي «معرفة طبيعته وأسراره ...ويبرز أثر هذا التّذوّق للشّعر الجاهلي جليّا

---

[1] _ ينظر : وجدان العلي : ظل النّديم ، مركز تفكّر للبحوث والدّراسات ، ط1 ، 1436ه/2015م ، ص18

[2] _ أماني حاتم بسيسو : محمود محمّد شا كر شاعرا ، كلّية الدّراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، آب 2004 ، ص6.

[3] _ عمر حسن القيّام : محمود محمّد شاكر ، الرّجل والمنهج . ص 41.

عندما يلتحق محمود سنة 1926م بقسم اللّغة العربيّة في الجامعة المصريّة ويبدأ بالاستماع لمحاضرات أستاذه طه حسين " في الشّعر الجاهلي" الّتي كان يلقيها على طلبة القسم ، والّتي يذهب فيها إلى أنّ الشّعر الجاهلي منحول وضعه الروّاة في العصر الإسلامي ، حيث يقف موقف الرّافض لرأي أستاذه ومنهجه في دراسة الشّعر الجاهليّ القائم على " الشّك " إذ كانت قراءته المتذوّقة لهذا الشّعر كشّفت له عن غير قليل من سماته الخاصّة الّتي تميّزه عن سواه ممّا تلاه من الشّعر الإسلامي»[1].

وفي هذه المرحلة أيضا عقد شاكر الصّلة بعلم آخر من أعلام اللّغة وهو الشّيخ مصطفى صادق الرّافعي « والّذي ترك آثارا واضحة في حياته الأدبية والفكرية ، وفي علاقاته مع أدباء عصره ، وربّما ترجع هذه العلاقة تحديدا إلى سنة 1923م وهو في الرّابعة عشرة من عمره إذ كان قد قرأ له بعض كتبه فأحبّ أن يراسله ابتغاء الصّلة وطلبا للعلم ، ثمّ توطّدت بينهما صحبة عميقة ظلّت إلى أن توفي الرّافعي سنة 1937م».[2]

[1] ينظر : إبراهيم الكوفحي : محمود محمد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النقدية ، ص38.
[2] المرجع نفسه ، ص 38.

المبحث الثّاني : الجامعة ومحنة الشّعر الجاهلي.

آثر محمود شاكر الالتحاق بكليّة الآداب قسم اللّغة العربية على الرّغم من أنّه كان يحمل بكالوريا القسم العلمي ، وقد كان ممنوعا على حاملي البكالوريا العلمية الالتحاق بالأقسام الأدبية آنذاك ، وشاء القدر أن يتوسّط له طه حسين عند مدير الجامعة ، فكان لطه حسين بذلك يد في التحاق محمود شاكر بقسم اللّغة العربية ، ويد أخرى في مغادرته الجامعة بعد خلافه الشّهير معه حول قضيّة الشّعر الجاهلي ، أو محنة الشّعر الجاهلي كما يسمّيها محمود شاكر.

كان محمود شاكر قد تتلمذ على يد الشّيخ المرصفي كما سلف الذّكر وتقلّب في بحور الشّعر العربي خاصّة الجاهليّ منه ، وأصبح من السّهل عليه أن يميّز جاهليّه من إسلاميّه .

وكان طه حسين هو الآخر قد تتلمذ على يد المرصفي غير أنّ دراسته بالسّربون وتأثّره ببعض أساتذته من المستشرقين وبالمنهج الدّيكارتي كان له رجع الصّدى في تعامله مع قضية الشّعر الجاهلي ، وفيما كان يلقيه بهذا الخصوص من محاضرات على طلاّبه بقسم اللّغة العربية الّذين كان محمود شاكر واحدا منهم.

« فقد دخل محمود الجامعة وهو يحمل في قلبه وعقله ثقافة أمّته وتاريخها وحقائق عقلها ووجدانها ، فوجد فيها خلاف ما كان يظنّ وفوجئ بل فجع بما كان يسمع من محاضرات في الشّعر الجاهلي من أستاذه طه حسين ومنهجه الّذي اعتمده لذلك ، وهاله مدى انبهار أستاذه بالمناهج المنتنزعة من ثقافات أخرى ، واتّكائه على نتائج البحث الاستشراقي دون إدراك صحيح للعلاقة بين المنهج والثّقافة الّتي أنتجته ، إذ المنهج الصّحيح لذلك في نظر شاكر هو ضرورة قراءة الشّعر العربي قراءة متذوّقة مستوعبة ليستبين الفرق بين الشّعر الجاهليّ والإسلاميّ قبل الحديث عن صحّة نسبة هذا الشّعر إلى الجاهلية أو التماس الشّبه لتقرير أنّه باطل النّسبة

وأنّه موضوع في الإسلام من خلال روايات هي في حدّ ذاتها محتاجة إلى النّظر والتّفسير».[1]

ولقد اجتمعت لدى شاكر أسباب مكّنته من مخالفة أستاذه الرّأي:

1. امتلاكه لناصية اللّغة والبيان العربي.
2. تبحّره في الشّعر العربي خاصّة الجاهلي من خلال تلمذته على يد المرصفي ممّا قوى عنده حسن التّذوق.
3. إتقانه لبعض اللّغات الأجنبية خاصّة الإنجليزية ممّا مكّنه من الإطّلاع على بعض كتابات المستشرقين ومنهم مرجليوث الّذي كان قد قرأ له مقالة في إحدى المجلاّت الّتي مكّنه منها يوما شيخه أحمد تيمور باشا والّتي يشكّك فيها في صحّة الشّعر الجاهلي ويرى بأنّه موضوع من قبل الرّواة في العصر الإسلامي ، وهم من نسبه لشعراء الجاهلية .

ومرّت الأيام ونسي شاكر ما قرأ من كلام هذا الأعجمي على حدّ تعبيره إلى أن ذكّره به ما سمعه من أستاذه طه حسين فبدا له أنّ ما يسمعه ما هو إلاّ ترجيع لمقالة مرجليوث ، وحزّ في نفسه ذلك غير أنّه امتنع عن مواجهة أستاذه بالحقيقة لسببين :

أوّلهما فارق السّن بينهما خاصّة وأنّه قد تربّى منذ صغره على احترام من هم أكبر منه سنّا ممّا ولّد في نفسه حياء وخجلا .

وثانيهما أنّ لأستاذه عليه يد سلفت إذ كان قد توسّط له في قضية التحاقه بقسم اللّغة العربية ، وقد وصف محمود شاكر الإحساس الّذي لازمه وقتها في قوله : « وظللت أتجرّع الغيظ بحتا وأنا أصغي إلى الدّكتور طه في محاضراته ولكنّني لا أستطيع أن أتكلّم ، لا أستطيع أن أناظره كفاحا وجها لوجه ، وكلّ ما أقوله فإنّما أقوله في غيبته لا في مشهده ، تتابعت المحاضرات وكل يوم يزداد هذا السّطو العريان على مقالة مرجليوث ويزداد في نفسي وضوح الفرق بين طريقتي في الإحساس بالشّعر الجاهلي وبين هذه الطّريقة الّتي يسلكها الدّكتور طه في تزييف هذا الشّعر ، وكان هذا "السّطو" خاصّة ممّا يهزّ قواعد الأدب الّتي نشأت عليها هزّا عنيفا

[1] _ ينظر : عمر حسن القيّام : محمود شاكر ، الرّجل والمنهج ، ص48/47.

وبدأت الهيبة مع الأيام تسقط شيئا فشيئا وكدت ألقي حفظي الجميل ورائي غير مبال و لم يبق لتوفير السّن عندي معنى».[1]

ظلّ محمود شاكر يكتم غيظه المحاضرة تلو الأخرى إلى أن جاء اليوم الّذي قرّر فيه مناقشة أستاذه ومصارحته بما في نفسه حول هذا «الأسلوب الّذي سمّاه منهجا ، وعن تطبيقه هذا المنهج في محاضراته ، وعن هذا "الشّك " الّذي اصطنعه ، ما هو ؟ وكيف هو ؟ ، وراح يدلّل على أنّ الّذي يقوله عن المنهج وعن الشّك غامض ، وأنّه مخالف لما يقوله ديكارت ، وأنّ تطبيق منهجه هذا قائم على التّسليم تسليما لم يداخله الشّك بروايات في الكتب هي في حدّ ذاتها محفوفة بالشّك» .[2] فما كان من الأستاذ إلاّ أن نهره وأسكته ، وانصرف عنه هو وزملاء محمود من الطّلبة الّذين اندهشوا من هذه المواجهة وعاتبوه عليها ، ولم يبق بجانبه سوى زميل له من قسم الفلسفة وهو محمود محمّد الخضيري الّذي كان يأتي ليحضر معهم محاضرات الدّكتور طه حسين ، غير أنّ ذلك لم يردع محمود عن مواصلة مناقشته لأستاذه حول منهجه ذاك في كلّ محاضرة مخفيا في نفسه ما كان يبديه لزملائه ، ويعجز عن الإفصاح به لأستاذه حول حقيقة سطوه العريان على مقالة مرجليوث هذه الحقيقة الّتي كان طه حسين يعلم بعلم محمود بها وإن كان لم يبدها له «إلاّ أنّه بلا شكّ كان يبلغه ما يذيعه محمود بين زملائه ، وكثر الكلام حول هذه القضيّة واشتدّ الأمر ، فتدخّل بعض الأساتذة من المستشرقين الّذين كانوا يدرّسون في الجامعة يومها ومنهم الأستاذ نلينو والأستاذ جويدي وتحدّثوا إلى محمود فصارحهما بما لم يصارح به أستاذه وجها لوجه حول حقيقة السّطو الّتي كانوا بدورهم يعلمون بها ويراوغون».[3]

وقد روى شاكر قصّة عزمه على ترك الجامعة ومحاولة أساتذته ثنيه عن ذلك قائلا : « وعدت إلى البيت بعد الظهر لأجد الأستاذين نيلنو و جويدي ومعهما أكثر من عشرين ضيفا كلّهم كان يعرفني ...وبعد الغداء

---

[1] محمود محمّد شاكر : المتنبي ، (د ط ، د ت) ، ص15.
[2] المرجع نفسه ، ص16.
[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص17.

وقعت بين المطرقة والسّندان كلٌّ يتكلّم مسفّها لي ضمنا أو علانية ، وحاول الأستاذ نيلنو إقناعي بكلّ السّبل فأجبته : نعم ، أنا مقتنع بكلّ ما تقوله عنّي وعن تسرّعي وتهوّري ومخاطرتي بمستقبلي ولكنّني لم أكن كما وصفت إلاّ لشيء واحد هو أنّ معنى الجامعة في نفسي قد أصبح أنقاضا وركاما فإن استطعت أن تعيد لي البناء كما كان فانا أوّل ساكن يدخله لا يفارقه ، وأنت تعلم أنّي بقيت معك في الجامعة سنتين لم أبرح ، وتعلم ما كنت أقوله عن مسألة الشّعر الجاهلي الّتي نسمعها في محاضرات الدّكتور طه وأنّ الّذي نسمعه ليس إلاّ سطوا مجرّدا على مقالة مرجليوث وأنت وجميع الأساتذة تعلمون صحّة ذلك ، وفي السّنة الماضية نشرت كتب و مقالات في الصّحف تكشف ذلك أبين الكشف ...ولكن لم يكن لهذا الكشف عندكم في الجامعة إلاّ الصّمت ، فهذا الصّمت إقرار من الجامعة وأساتذتها بهذا المبدأ "مبدأ السّطو" قد مضت سنتان صابرا ، أمّا الآن فلم أعد قادرا على التّوفيق بين معنى الجامعة في نفسي ، وبين هذا المبدأ الّذي أقررتموه فتقوّض معنى الجامعة وأصبح حطاما ، فكيف تطالبونني بأن أعيش سنوات أخرى بين الحطام والأنقاض».[1]

[1] _ محمّد إبراهيم الرّضواني : أبو فهر محمود شاكر بين الدّرس الأدبي والتّحقيق ، ص20.

المبحث الثالث : محمود شاكر الموقف والكتابة.

ترك محمود شاكر الجامعة سنة 1928م وآثر الرّحيل عن مصر قاصدا الحجاز طالبا العزلة باحثا عن وجه الحقيقة ،وبرد اليقين حول قضية الشّعر الجاهلي الّتي ملكت عليه عقله وتفكيره خاصّة وأنّها عنده مرتبطة بمسألة إعجاز القرآن.

«وهناك أنشأ مدرسة جدّة السّعودية الابتدائية بناء على طلب من الملك عبد العزيز آل سعود وعمل مديراه لها ، ولكنّه ما لبث أن عاد إلى القاهرة في أواسط عام 1929م وانصرف إلى الأدب والكتابة فكتب في مجلّتي "الفتح " و " الزّهراء" اللّتين كان يصدرهما الأستاذ محبّ الدّين الخطيب».[1]

قضى محمود شاكر سنوات ذوات العدد بعد تركه للجامعة ما بين «1929 و 1936م وهمّه مصروف أكثره إلى قضية الشّعر الجاهلي وإلى طلب اليقين فيها لنفسه ، ومشت به هذه القضيّة في رحلة طويلة شاقّة لإعادة قراءة الشّعر الجاهلي وتراث الأمّة العربية ، ودخلت به أيضا كما يقول : في دروب وعرة شائكة ، وكلّما أوغلت انكشفت عنّي غشاوة العمى وأحسست أنّي أنا وجيلي الّذي هو جيل المدارس المصريّة قد تمّ تفريقنا تفريقا يكاد يكون كاملا من ماضينا كلّه، من علومه وآدابه وفنونه ولأنّه غير ممكن أن يظلّ الفارغ فارغا أبدا فقد تمّ ملء هذا الفراغ بجديد من العلوم والآداب والفنون الّتي لا تمتّ إلى هذا الماضي بسبب» .[2]

ولم يكن اهتمام محمود شاكر مقتصرا على الشّعر الجاهلي وحده بل على كلّ مقوّمات الأمّة العربية من لغة ودين وتاريخ ....حريصا على أن يظلّ هذا الحبل السّري موصولا بين الماضي والحاضر ، رافضا حتّى أن يوصف هذا الإرث العظيم بالتّراث القديم ، ويوضّح ذلك قوله :« إنّ الّذي

[1] ينظر : محمود محمّد الطنّاحي : مدخل إلى نشر التّراث العربي ، ص105.
[2] إبراهيم الكوفحي : محمود محمّد شاكر ، سيرته الأدبية ومنهجه النّقدي ، ص21.

الّذي عمد إلى إرث الآباء فأطلق عليه هاته التّسمية إنّما أراد أن يجعله أثرا من الآثار البالية الّتي تحفظ في متاحف القرون البائدة» .[1]

ومثلما جنّد شاكر نفسه حارسا على ماضي الأمّة ومقوّماتها فقد عاش مسكونا بجراح الحاضر ، وبقضايا أمّته ووطنه ـ وقد تجسّد ذلك في كتاباته وأعماله الّتي خلّفها.

1ـ كتاباته الشّعرية:

*ديوان " اعصفي يا رياح وقصائد أخرى" ، وقد جمع قصائده إبنه فهر بعد وفاته ، « ونشرت الطّبعة الأولى منه سنة 1422ه/2001م ، وكانت قصائده معبّرة عن كلّ ما كان يحسّ به محمود شاكر من قلق وألم صراح تعاوره به مجتمعه وزمنه وخيانة من أحب ».[2]

*" القوس العذراء" : وهي قصيدة نشرها محمود شاكر عام 1952م ،« وقد استلهمها من قصيدة الشّماخ في وصف القوس ».[3]

2ـ كتاباته النّثرية :

*المتنبيّ : وكان هذا الكتاب في البداية عبارة عن كلمة انتدبه " المقتطف" لكتابتها في الذكرى الألفية لوفاة المتنبيّ 1354ه/1935م ، ليتحوّل إلى كتاب« درس من خلاله شخصيّة المتنبي وشعره دراسة ربّما تكون هي الأجمل بين مجموع الدّراسات الّتي كتبت عن هذا الشّاعر ، وخلص إلى نتائج لم يقل بها أحد كالقول بعلوية المتنبي ، وحبّه لخولة أخت سيف الدّولة وبدّد كثيرا من الشّبه الّتي دارت حوله كادّعائه النبوّة».[4]

*أباطيل وأسمار: وهو عبارة عن مقالات كتبها شاكر سنة 1884ه/1964م .«ردّا على مقالات لويس عوض " في هامش الغفران.....شيء من التّاريخ الّتي لم يمحّص فيها الرّوايات التّاريخية المعتمدة في بحثه ، ولم يستقص

---

[1] _ ينظر : عمر حسن القيّام : الرّجل والمنهج ، ص263.
[2] _ ينظر : محمود محمّد شاكر " ديوان اعصفي يا رياح وقصائد أخرى" ، شرح وتقديم عادل سليمان جمال ، جمع وتقديم فهر محمود محمّد شاكر ، مطبعة المدني ، ص44
[3] _ ينظر : عمر حسن القيّام ، محمود شاكر الرّجل والمنهج ، ص62.
[4] _ ينظر : المرجع نفسه ، ص49

الأخبار الّتي تناولت حياة أبي العلاء فجاءت مليئة بالأوهام والخلط التّاريخي والفساد النّقدي والأدبي ، فأراد شاكر أن يردّ بعض الغبن الّذي لحق شيخ المعرّة ،ولم تكن كل مقالات أباطيل وأسمار عن شيخ المعرّة ولويس عوض وإنّما داخلتها قضايا أدبية ولغوية وثقافية »[1] هتك من خلالها «الأستار عن خفايا الحياة العربية المعاصرة في جميع تياراتها الثّقافية والفكرية والسياسية الاجتماعية ، وأثر دوائر التّبشيروالاستشراق في صياغة معالم هذه الحياة وتتبّع قضيّة "اللّغة العامّية" ومدى ارتباطها بالأهداف الاستعمارية ممّا أحفظ خصومه فطفقوا يؤوّلون كلامه على أنّه دعوة لفتنة دينيّة وقومية فسارعت السّلطة إلى سجنه سنة 1965 إلى غاية 1967م».[2]

*نمط صعب ونمط مخيف: وهي عبارة عن مقالات كتبها عقب خروجه من السّجن (1970/1969م) ،« كشف فيها عن منهج دراسة الشّعر القديم وأطال النّفس جدّا في تحليل قصيدة الشّنفرى، وعالج من خلالها بعض القضايا النّقدية كصحّة بناء القصيدة ، ومفهوم اللّغة الشّعرية ، وموسيقى الشّعر.

أمّا تسمية نمط صعب ونمط مخيف فاستمدّها من الوزير أبي عبيد البكري في (سمط اللآلئ) حين قال في وصف هذه القصيدة : " وهي قصيدة ونمط صعب" ».[3]

*رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا: وهو عبارة عن مقدّمة أرفقها شاكر بكتابه المتنبي شرح فيها مفهومه للمنهج وموقفه من المناهج الأدبية السّائدة وأسباب هذا الفساد.

*قضيّة الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي : وهو عبارة عن محاضرة في الشّعر الجاهلي «كانت جامعة الإمام محمد بمن سعود قد دعته ليلقيها على طلاّبها سنة 1395ه/1975م ».[1]

---

[1] _ ينظر : محمود إبراهيم الرّضواني : أبو فهر محمود محمّد شاكر بين الدّرس الأدبي والتّحقيق ، ص298.

[2] _ ينظر : عمر حسن القيّام : محمود محمّد شاكر ، الرّجل والمنهج ، ص71.

[3] _ ينظر : المرجع نفسه ، ص72.

3ـ تحقيقاته:

حقّق عددا من أمّهات الكتب العربيّة، فكانت قراءته مثالا يحتذى به في فنّ تحقيق النّصوص ونشرها ، منها:«

- رسالة (فضل العطاء على العسر) لأبي هلال العسكري.
- تصحيح واستدراك لكتاب : " زهرة الآداب" لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني.
- طبقات فحول الشّعراء لابن سلاّم الجمحي.
- جمهرة نسب قريش وأخبارها للزّبير بن بكّار.
- تهذيب الآثار وتفصيل الثّابت عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم من الأخبار لأبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري.
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني » .[2]

«وقد أبان شاكر في تحقيقه للتّراث عن علم غزير وإحاطة جامعة به خاصّة فيما يتّصل بالشّعر ورواياته ، ومداخلة الكتب واستنطاقها ، وبراعة التّعامل معها ، ورغم ذلك فقد كان ينبذ كلمة التّحقيق وما يشتقّ عنها ويعرض عن استعمالها لما يرى في ذلك من تبجح وتعال وادّعاء ، ويكتب بدلا عنها قارئ أو شارح ».[3]

---

[1] ينظر : محمود محمّد شاكر ، قضيّة الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي ، مطبعة المدني ، 1997م ، ص4/3.

[2] ينظر : منذر محمّد سعيد أبو شعر : معجم محمود محمّد شاكر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، عمّان ، ط2 ، 1428ه/2007م، ص11/10.

[3] ينظر : محمود إبراهيم الرّضواني ، أبو فهر محمود محمّد شاكر بين الدّرس والتّحقيق ، ص367/366.

الفصل الثّاني: محمود شاكر وقضيّة المنـهج.

المبحث الأول : التعريف بالمنـهج : لغة واصطلاحا.

المبحث الثّاني :المنـهج بين المعرفة العلميّة والفنّية.

المبحث الثّالث :موقف محمود شاكر من المناهج الأدبيّة.

المبحث الرّابع :منـهج محمود شاكر التّذوقي.

المبحث الخامس :ضوابط المنـهج عند محمود شاكر.

المبحث الأول: التعريف بالمنهج: لغة واصطلاحا

1/لغة : جاء في لسان العرب

« نهج : طريقٌ نهجٌ بيّنٌ واضحٌ ، وهو النّهج.

والجمع نهجاتٌ ونُهُوجٌ ونُهُجٌ ؛ قال أبو ذؤيب :

به رُجُماتٌ بينهنّ خوارمٌ*** نُهُوجٌ ، كلبّات الهجائن ، فيحُ

وطرقٌ نهجةٌ ، وسبيلٌ منهجٌ : كنهج ، ومنهجُ الطّريق وضحُهُ.

والمنهاج : كالمنهج ، وفي التّنزيل : « لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا».

وأنهج الطّريق وضح واستبان وصار نهجا واضحا بيّنا ؛ قال يزيد بن الحذّاق العبديّ:

ولقد أضاء لك الطّريق ، وأنهجت *** سبل المكارم والهدى تعدي.

أي : تعين وتقوّي ، والمنهاح : الطّريق الواضح ، واستنهج الطّريق : صار نهجا ، وجاء في حديث العبّاس : لم يمت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى تركّكم على طريق ناهجة أي واضحة بيّنة ، ونهجت الطّريق : أبنته وأوضحته ، يقال : اعمل على ما نهجته لك ، ونهجت الطّريق : سلكته ».[1]

2/اصطلاحا: لقد تعدّدت تعريفات المنهج لدى العلماء والباحثين غير أنّها لا تكاد تخرج أو تبتعد في مجملها عن المعنى اللّغوي ، وبالتّالي فالمنهج هو «الطّريقة المتّبعة في دراسة وتحليل موضوع معيّن ، أو هو مجموعة من الخطوات المتّبعة في تفسير وتحليل ظاهرة ما».[2]

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، ج2 ، دار صادر بيروت ، ط3 ، 1414ه ـ مادة نهج ـ ص383.

[2] عامر مصباح : منهجيّة إعداد البحوث العلميّة ، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة ، وحدة الرّغاية ، الجزائر ، 2006 ، ص23.

«والمنهج في أبسط تعريفاته وأشملها طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة ما».[1]

وهو في معناه العام «الأسلوب الّذي يقود إلى هدف معيّن في البحث والتّأليف أو في السّلوك» .[2]

في حين يرى صلاح فضل أنّ جلّ التّعريفات الّتي «تحاول الإلمام بهذا المفهوم تقصر عن الإحاطة بجوانبه ، لأنّ الوجه اللّغوي في التّعريف لا يفي بتغطية الشّروط الصطلاحية ، فتعريف المنهج لغويا هو الطّريق والسّبيل والوسيلة الّتي يتدرّج بها للوصول إلى هدف معيّن».[3]

والسّبب في ذلك من وجهة صلاح فضل راجع إلى ارتباط المفهوم الاصطلاحي بأحد التّيارين : أوّلهما «ارتباطه بالمنطق ، وهذا الارتباط جعله يدلّ على الوسائل والإجراءات العقلية طبقا للحدود المنطقيّة الّتي تؤدّي إلى نتائج معيّنة ، لذلك فإنّ كلمة منهج انطلقت من اليونانيّة واستمرّت في الثّقافة الإسلاميّة ، لتصل إلى عصر النّهضة ، وهي ما تزال محتفظة بالتّصورات الصوريّة طبقا للمنهج الأرسطي بحدوده وطرق استنباطه فالمنهج في هذه المرحلة يطلق عليه المنهج العقلي لأنّه يلتزم بحدود الجهاز العقلي ليستخرج النتائج منها ، وهو في ذلك حريص على عدم التّناقض».[4]

والتّيار الثّاني الّذي ارتبط به هذا المفهوم هو «التّيار العلمي ، وهذا التّيار لا يحتكم إلى العقل فحسب ، وإنّما كذلك إلى الواقع ومعطياته وقوانينه فالمنهج إذن اقترن بنمو الفكر العلمي التّجريبي ، ووقع التّزاوج بين طرائق العلماء والمنهجيين ، وولد ما يسمّى بالمنهج التّجريبي».[5]

---

[1] _ علي جواد الطّاهر : منهج البحث الأدبي ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر ، بيروت ، لبنان ، ص19.

[2] _ أحمد مطلوب : معجم النّقد العربي القديم ، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة ، بغداد 1989 ، ص364.

[3] _ ينظر : صلاح فضل : مناهج النّقد الأدبي المعاصر ، ميريث للنّشر والمعلومات ، شارع قصر النّيل ، القاهرة ، ط1 ، 2002 ، ص9.

[4] _ صلاح فضل : مناهج النّقد المعاصر ، ص9.

[5] _ ينظر : المرجع نفسه ، ص10.

وارتباط المفهوم الاصطلاحي للمنهج بالتّيار العلمي لا يعني كما بيّن صلاح فضل أنّه « تمّ التّخلي عن المفهوم الأول ليحلّ محلّه الثّاني بصفة مطلقة وإنّما صار ثمّة تعايش بين المفهومين ، فقد يطلق المنهج ليراد به المنظومة المرتّبة الّتي يمكن عن طريقها الوصول إلى نتائج منطقية ، وقد يطلق المنهج ليراد به المنهج التّجريبي».[1]

[1] _ صلاح فضل : مناهج النّقد المعاصر ، ص10 .

المبحث الثّاني :المنهج بين المعرفة العلميّة والفنّية:

لقد عرف النّقد الأدبي في جميع الثّقافات ، واختلفت طبيعته باختلافها «وإذا كان النّقد في نشأته وتطوّره قد ارتبط بالفلسفة عند اليونان وصار منهجا من مناهجها وفرعا من فروعها ، وتطوّر هذا الارتباط وازداد تأصّلا مع مرور العصور مرتبطا بعلوم الجمال وغيرها من العلوم »[1] فإنّ النّقد العربي قد " نشأ عربيّا ، وظلّ عربيّا صرفا » .[2] ولم يرتبط سوى باللّغة والشّعر .

ومثلما عرفت العرب الشّعر فطرة وسليقة مارست النّقد فطرة وسليقة وكان الذّوق الفنّي الأصيل هو الرّكيزة الأساسيّة للنّقد طيلة مراحل نضجه وتطوّره ، ذلك أنّ « أساس كلّ نقد هو الذّوق الشّخصي تدعمه ملكة تحصل في النّفس بطول ممارسة الآثارالأدبيّة».[3]

والّذي لا يختلف فيه اثنان هو أنّ العرب لم تمارس شيئا ممارستها للشّعر ، ولم تعرف علما من العلوم أو فنّا من الفنون معرفتها له ، والأحكام النّقدية الصّادرة عن عرب الجاهليّة خاصّة تعكس هذه الصّلة الحميمة الّتي كانت تربط العربيّ باللّغة وبالشّعر الّذي كان هو لسان حالها.

وبالتّالي فإنّ هذه الصّلة الحميمة باللّغة ، والمعاشرة الطّويلة للشّعر أكسب النّاقد آنذاك خبرة ودراية مكّنته من إدراك الفروق الجوهريّة بين معاني الكلام ، والتّمييز بين خصائص الشّعر ومقوّماته دون أن يحتاج في ذلك إلى قوانين يستند إليها.

وحتّى في عصور لاحقة ومع ظهور النّقد المنهجي القائم على أسس موضوعيّة ظلّ الذّوق العربي الأصيل هو المحرّك الرئيس لهذا النّقد فتعدّدت بذلك مناهج النّقاد وأحكامهم ، وقيام النّقد على الذّوق يجعلنا نحكم «بأنّ النّقد ليس علما ولا يمكن أن يكون علما ، وإن وجب أن نأخذ فيه بروح العلم ، ولو افترضنا جدلا إمكان وضع علم له لوجب أن يقوم ذلك

---

[1] _ محمّد فتيمي هلال : النّقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، 1997م ، ص13.

[2] _ محمّد مندور : النّقد المنهجي عند العرب ، ص11.

[3] _ المرجع نفسه ، ص11.

العلم بذاته ، ومن المعروف أنّ العلوم المختلفة لا تنمو وتثمر إلاّ بفضل استقلال مناهجها ومبادئها الّتي تستقي من موضوع دراستها».[1] وهذا ما لم يحصل في النّقد العربي.الّذي ظلّ طوال مراحل تطوّره يستمدّ مناهجه من طبيعة الأدب وأصل اللّغة.

إضافة إلى ذلك فإنّ «طبيعة العلم الّتي تسيطر على الجزئيات مستقصية ثمّ تستنبط من ذلك قوانين عامّة حاسمة لا سلطان للذّوق الشّخصي عليها تخالف الواقع في النّقد الأدبي الّذي يصطدم دائما بهذه الأذواق المتباينة والفنون الأدبيّة المختلفة الّتي لا يشملها قانون عام ، لذلك كان الواجب الأوّل على من يريد إخضاع النّقد للمناهج العلميّة أن يراعي هذا الأمر ويحتاط له»[2]

[1] محمّد مندور: النّقد المنهجي عند العرب ، ص11.
[2] أحمد الشّايب : أصول النّقد الأدبي ، مكتبة النّهضة المصريّة ، ط10 ، 1994 ، ص165.

المبحث الثّالث: موقف شاكر من المناهج الأدبيّة:

قد كان لشاكر موقفه ووجهة نظره الخاصّة من المناهج النّقديّة الحديثة خاصّة إذا ما تعلّق الأمر بإسقاطها على التّراث العربي « ولعلّ من السّهل أن يتبيّن دارس محمود شاكر أنّ قضيّة المنهج في دراسة الأدب ، ولا سيما الشّعر هي القضيّة الأساسيّة الّتي كان لها تأثيرها الكبير الواضح في مسيرة حياته الشّخصيّة والعلميّة ،.وهي عنده قضيّة متشابكة لا ترتبط بالنّقد الأدبي وحده بقدر ما ترتبط بقضايا الصّراع الحضاري المختلفة الّتي نبتت في عصرنا منذ انهيار سلطة الحضارة الإسلاميّة ، وهيمنة الحضارة الأوروبيّة على معظم أنحاء الأرض ، وعلى الجزء الغربي الإسلامي منه بوجه خاصّ».[1]

وقد بدأت رحلة شاكر مع قضيّة المناهج بعد دخوله الجامعة «وليس من شكّ في أنّ محاضرات أستاذه طه حسين في الشّعر الجاهلي كانت على وجه التّحديد هي السّبب الرّئيسي الّذي جعل قضيّة النّهج هي القضيّة الكبرى في حياته».[2]

وهذا أيضا ما ولّد في نفسه شعورا بفساد الحياة الأدبيّة وحمله على رفض هذه المناهج كما قال : «رفضا صريحا قاطعا غير متلجلج».[3]

وشعوره ذاك هو ما دفعه إلى « إعادة قراءة الشّعر العربي كلّه ، وقراءة ما وقع تحت يديه من هذا الإرث العظيم المتنوّع من تفسير وحديث وفقه وأصول ، وملل ونحل ، ونقد ونحو ، حتى الفلسفة القديمة والحساب والجغرافيا ، وكتب النّجوم وصور الكواكب والطّب القديم ...وغيرها من العلوم لا قصد التّمكن منها ، وإنّما بغية التّبيّن وإزاحة الثّرى عن خبئها المدفون».[4]

---

[1] _ ينظر : إبراهيم الكوفحي : محمود محمّد شاكر سيرته الأدبيّة ومنهجه النّقدي ، ص203.
[2] _ ينظر : المرجع نفسه ، ص203.
[3] _ محمود محمّد شاكر : رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا ، دار المدني ، 1407ه/1987م ، ص23.
[4] _ ينظر : المرجع نفسه ، ص23.

وبالتّالي فإنّ رفض شاكر للمناهج الأدبيّة السّائدة جاء بعد قناعة واطّلاع على خلفيات هذه المناهج بأصولها ، وعن بصر بالشّعر العربي ، وبكلّ ما يدور في فلك الثّقافة العربيّة «ورفضه هذا لا يعني أنّه كان أسيرا للتّراث بل كان يحاوره ويجادله فيأخذ منه ما يأخذ عن علم وبيّنة وعن اقتناع وكذلك يرفض ما يرفضه ، وليس أدلّ على ذلك من انتقاده لعدد من كبار علمائه ونقّاده ولغويّيه وتخطئتهم لهم مثل ابن سلاّم الجمحي ، والجاحظ ، وأبي عليّ القالي ، وابن فارس ، والباقلاّني».[1]

وإن كان شاكر قد بدا في موقفه من المناهج الأدبيّة أكثر تحيّزا للتّراث فإنّ ذلك راجع إلى مفهومه للتّجديد الّذي هو عنده «عبارة عن حركة دائبة في داخل ثقافة متكاملة ، يتولاّها الّذين يتحرّكون في داخلها كاملة حركة دائبة عمادها الخبرة والتّذوق ، والإحساس المرهف بالخطر عند القطع والوصل ، وعند التّهجم على الحلّ والرّبط ، فإذا فقد هذا كلّه كان القطع والحلّ سلاحا فاتكا مدمّرا للأمّة وثقافتها ، وينتهي الأمر بأجيالها إلى الحيرة والتّفكك والضّياع ، إذ يورّث كلّ جيل منها جيلا بعده ما يكون به أشدّ منه حيرة وتفكّكا وضياعا» [2]

وما من شكّ في أنّ « ثقافة شاكر المتينة المتماسكة قد كان لها أعظم الأثر في اتّخاذ هذا الموقف إذ أتاحت له أن يسبر طبيعة الظّروف المحيطة به وأن يستشرف النّتائج الّتي يمكن أن تؤول إليها حال الثّقافة العربيّة فسارع إلى البراءة منها والانحياز إلى نسق ثقافي مغاير هو الثّقافة العربيّة الإسلاميّة بعد أن صمّم على خوض صراع ضدّ هذا الواقع الثّقافي السّائد وذلك بصياغة منهج مستقلّ نابع من ثقافته يقرأ به تاريخ العرب ، وآدابهم وعلومهم وفنونهم»[3]

---

[1] ينظر : إبراهيم الكوفحي : محمود محمّد شاكر "سيرته الأدبيّة ومنهجه النّقدي ، ص231 ، 232.

[2] محمود محمّد شاكر : رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا ،ص158.

[3] عمر حسن القيّام : محمود محمّد شاكر الرّجل والمنهج ، ص103.

المبحث الرّابع :منهج محمود محمّد شاكر التّذوقي:

شرح محمود شاكر باستفاضة أسباب رفضه للمناهج الأدبيّة السّائدة في عصره من خلال كتابه " رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا" والّتي ربطها بمفهوم النّهضة والإستشراق ، وعولمة الثّقافة...حتى أنّه يرى في « تسميتها مناهج تجاوز شديد البعد عن الحقيقة وفساد غليظ وخلط».[1]

ومنذ خلافه الشّهير مع أستاذه طه حسين حول قضيّة المنهج « ووسائله الّتي تناول بها الشّعر الجاهلي وهذا اللّفظ يزداد غموضا وإبهاما لديه وهذا الغموض الّذي أحاط مفهوم المنهج هو الّذي أدّى إلى خلط كثير في فهم الآداب وتفسيرها وشرحها ثمّ في تصوير أجداث العصر وأفكاره ورجالاته وأحواله».[2]

وليس بمستغرب بعد هذا الرّفض الصّريح ، وهذا الوعي المبكّر بالواقع الأدبي والثّقافي أن يوجّه شاكر عقله وفكره صوب التّراث باحثا ومنقّبا عن منهج أصيل وكفيل باستيعاب تراث هذه الأمة وثقافتها العربية والإسلامية بكلّ تشعباتها وخصوصياتها ، إلى أن هداه بحثه الدّؤوب ورحلة تنقيبه الطّويلة إلى منهجه التّذوقي.

وقد شكل مفهوم التّذوق كما أشار عمر حسن القيّام في كتابه محمود محمّد شاكر الرّجل والمنهج «عماد تجربة شاكر في قراءة التّراث وتشكيل المنهج ، ويكاد هذا المفهوم أن يستبدّ بهذه التّجربة إلى الحدّ الّذي تتداخل فيه ملكتا التّذوق والنّقد بحيث يتجاوز التّذوق حدود كونه مرحلة من مراحل الإدراك النّقدي».[3]

وقد بيّن شاكر في أكثر من موضع من كتبه أنّه «لم يبتدع هذا النّهج ابتداعا ، بل إنّ له جذورا ممتدّة إلى الثّقافة العربيّة بعامّة ، وإلى عبد القاهر الجرجاني على وجه الخصوص لا سيما آراؤه في السّياسة الشّافية حول

---

[1] محمود محمّد شاكر : رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا ، ص21.
[2] ينظر : محمود محمّد شاكر : أباطيل وأسمار ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ص19.
[3] عمر حسن القيّام : محمود محمّد شاكر الرّجل والمنهج ، ص109.

مفهوم التّذوق ، وشموله لكلّ كلام صادر عن الإنسان ، وأنّ هذا المنهج كان نابعا من صميم المناهج الخفيّة الّتي سنّ لنا آباؤنا وأجدادنا طرقها».[1]

وقد تمثّلت جهود شاكر في نقض الغبار عن هذه المناهج القديمة «وتبيّن دروبها ومسالكها وجمع ما تفرّق من أساليبها بالاعتماد على دلالات اللّسان العربي واستيعابها ذلك لأنّ الّذي لا يملك القدرة على استيعاب هذه الدّلالات غير قادر البتّة على أن ينشأ منهجا أدبيّا لدراسة إرث هذه اللّغة في أي فرع من فروع هذا الإرث».[2]

والتّذوق عند شاكر على نوعين:

1- التّذوق السّاذج : وهو «التّذوق الحاضر في دخيلة كلّ إنسان حيّ عاقل مدرك ، وهو ممّا لا يشعر به الإنسان أنّه بذل في تبيّنه جهدا ، فهو تذوّق ينمّ عن غير منهج مرسوم أو قصد او عناية » .[3]

2- التّذوق المنهجي: « وهو الّذي يحتاج إلى إرادة واضحة وإلى تنبّه وبصر...ويحتاج أيضا إلى ترديد الكلام وترجيعه - وإلى إعادة النّظر فيه مرّة بعد مرّة ...وإلى فصل بعض من بعض ، وإلى ضمّ شكل إلى شكل وإلى ملاحظة والفروق بين المتشابهين أحيانا ، أو تحديد ضرب من التّشابه بين غير المتشابهين ظاهرا أحيانا أخرى ، وأشياء أخرى كثيرة » .[4]

والتّذوق في نظر شاكر ليس حكرا على الأعمال الأدبيّة وحدها ، بل هو « أساس كلّ حضارة وقوام كلّ علم ، وكلّ حضارة بالغة دقّة التّذوق تفقد معها أسباب بقائها ، والتّذوق ليس قواما للآداب والفنون وحدها ، بل هو أيضا قوام كلّ علم وصناعة على اختلاف بابات ذلك كلّه ، وتباين أنواعه وضروبه ، كلّ حضارة نامية تريد أن تفرض وجودها وتبلغ تمام تكوينها إذا لم تستقلّ بذوق حسّاس حادّ مرهف نافذ تختصّ به وتنفرد لم يكن لإرادتها في فرض وجودها معنى يعقل ، بل تكاد هذه الإرادة أن تكون ضربا من التّوهم والأحلام لا خير فيه ، فحسّ التّذوق يعني سلامة العقل

---

[1] المرجع نفسه ، ص109.
[2] المرجع نفسه ، ص110/109.
[3] عمر حسن القيّام : محمود محمّد شاكر ، الرّجل والمنهج ، ص110.
[4] المرجع نفسه ، ص111.

والنّفس والقلب من الآفات فهو لبّ الحضارة وقوامها لأنّه قوام الإنسان العاقل المدرك الّذي تقوم به الحضارة ، وهذا شيء لا يكاد يختلف فيه اثنان فيما أظنّ».[1]

وقد تحدّث محمود شاكر في كتابيه "أباطيل وأسمار" و "رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا" عن منهجه ، وأبان عن مفهومه للمنهج وهو في معرض حديثه عن المنهج في النّقدي الأدبي لا يقصد به كما ذكر«ما اصطلح عليه المتكلّمون في هذا الشأن ، بل يريد به "ماقبل المنهج" أي الأساس الّذي لا يقوم المنهج إلاّ عليه ».[2]

وهذا الأساس عنده قائم على شطرين : شطر في تناول المادّة وشطر في معالجة التّطبيق.

أمّا شطر المادّة فيتمثّل عنده في «جمعها من مظانّها على وجه الاستيعاب المتيسّر، ثمّ تصنيف هذا المجموع ، ثمّ تمحيص مفرداته تمحيصا دقيقا ، وذلك بتحليل أجزائها بدقّة متناهية ، وبمهارة وحذر حتى يتيسّر للدّارس أن يرى ما هو زيف جليّا واضحا ، وما هو صحيح مستبينا ظاهرا بلا غفلة ، وبلا هوى ، وبلا تسرّع».[3]

في حين أنّ شطر التّطبيق عنده «يقتضي إعادة تركيب المادّة بعد نفي زيفها وتمحيص جيّدها ، باستيعاب أيضا لكلّ احتمال للخطأ أو الهوى أو التّسرع ، ثمّ على الدّارس أن يتحرّى لكلّ حقيقة من الحقائق موضعا هو حقٌّ موضعها ، لأنّ أخفى إساءة في وضع إحدى الحقائق في غير موضعها خليق أن يشوّه عمود الصّورة تشويها بالغ القبح والبشاعة».[4]

ويقصد شاكر بالصّورة هنا صورة الحقيقة الّتي ستتضح للباحث بعد إعادة تركيبه بين أجزاء المادّة الّتي جمعها .

---

[1] محمود محمّد شاكر : قضيّة الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي ، مطبعة المدني ، 1997م ، ص58.

[2] محمود محمّد شاكر : أباطيل وأسمار ، ص19.

[3] المرجع نفسه ، ص20.

[4] المرجع نفسه ، ص20.

المبحث الخامس : ضوابط المنهج عند شاكر .

إنّ المنهج عند شاكر ميدان كثير المزالق لا يستقيم لأيّ كان ، لذا فقد اشترط على نازليه شروطا محكمة لا يمكن إغفالها ، وقد وضّحها في قوله: « وجماع الشّروط كلّها في هذا الشّأن منوط بثلاثة أمور: لغته الّتي نشأ فيها صغيرا ، وثقافة أمّته الّتي ينتمي إليها وارتضع لبانها يافعا ، وأهوائه الّتي يملك ضبطها أولا يملكه بعد أن استوى رجلا مبينا عن نفسه».[1]

أمّا شرط اللّغة فيتوجّب أن يكون الباحث « محيطا بأسرارها الظّاهرة والباطنة ، وبين تمام الإحاطة بها وقصور هذه الإحاطة يرتفع قدر ما يكتبه أو ينزل إلى حضيض الإسقاط والإهمال».[2]

أمّا الثّقافة فهي كما يقول شاكر : « سرّ من الأسرار المثلّمة وحقائها بعيدة الغور ، متشعّبة ، قوامها الإيمان بها عن طريق القلب والعقل ثمّ العمل بما تقتضيه حتى تذوب في بنيان الإنسان ، ثمّ الانتماء إليها انتماء يحفظه ويحفظها من التّفكك والانهيار».[3]

أمّا الأهواء فهي كما وصفها : «الدّاء المبير ، والشّر المستطير، والفساد الأكبر إن هو ألمّ بأيّ عمل إلمامة خفيّة الدّبيب أحاله إلى عمل مستقذر منبوذ كريه ، حتى لو جاءك هذا العمل في أحسن ثيابه وحليّه ، وأتمّها زينة من دقّة واستيعاب وتمحيص ومهارة وحذق وذكاء ، ثمّ يزداد بشاعة إذا كان الكاتب ملمّا تمام الإلمام بأسرار اللّغة ، وأسرار الثّقافة لأنّه حينئذ منافق خبيث ، وخائن لئيم الخيانة».[4]

ولا يسمّى باحثا أو عالما أو كاتبا في نظر شاكر إلاّ من «اجتمعت له هذه الشّروط ، فإذا عري منها لم يكن أهلا للنّزول في ميدان "المنهج" فإذا فعل فهو متكلّم لا أكثر».[5]

---

[1] محمود محمّد شاكر : رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا ، ص65.
[2] المرجع نفسه ، ص65
[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص65.
[4] ينظر : المرجع نفسه ، ص66.
[5] المرجع نفسه ، ص66.

وبالتّالي فإنّ شاكر يرفض ما ذهب إليه ديكارت وتبنّاه كثير من الباحثين العرب حول ضرورة أن « يتجرّد الباحث من كلّ شيء كان يعلمه من قبل وأن يستقبل بحثه خالي الذّهن خلوّا تامّا ، فذلك شيء لا أصل له ويكاد يكون بهذه الصّيغة كذبا مصفى لا يشوبه ذرومن الصّدق وهو بهذه الصّورة خارج عن طوق البشر ، لأنّه ليس بمقدوره وإن تجرّد من معارفه السّابقة أن يتجرّد من سلطان اللّغة وسطوة الثّقافة وبطشة الأهواء». [1]

وأساس الثّقافة عند شاكر هو الدّين « سواء كان الدّين بمعناه العام ، والّذي هو فطرة الإنسان أيّ دين كان ، أو ما كان في معنى الدّين ، وبقدر شمول هذا الدّين لجميع ما يكبح جموح النّفس الإنسانيّة ويحجزها عن أن تزيغ عن الفطرة السّوية العادلة ، وبقدر تغلغله إلى أغوار النّفس تغلغلا يجعل صاحبها قادرا على ضبط الأهواء الجائرة ، تكون قوّة العواصم الّتي تعصم صاحبها من كلّ عيب قادح في مسيرة "ما قبل المنهج" ثمّ في مسيرة المنهج الّذي يتشعب من شطره الثّاني وهو شطر التّطبيق ». [2]

والدّين والثّقافة واللّغة هي الّتي يتشكّل منها ما يسمّيه شاكر « الأصل الأخلاقي ، وهذا الأصل في نظره هو الّذي "يضمن للأمم والحضارات ترابطها وتماسكها ، وهو ليس خاصّا بأمّة ، بل هو شأن كلّ جيل من النّاس وكلّ أمّة من الأمم كان لها لغة وكان لها ثقافة وكان لها بعد تمام ذلك حضارة ومؤسسّة على لغتها وثقافتها». [3]

ومن هذا المنطلق فإنّ شاكر لا يؤمن بعالميّة الثّقافة ، ويرى بأنّه «من الباطل كلّ البطلان أن يكون في هذه الدّنيا على ما هي عليه ثقافة يمكن أن تكون "ثقافة عالميّة" أي ثقافة واحدة يشترك فيها البشر جميعا ، ويمتزجون على اختلاف لغاتهم ومللهم ونحلهم وأجناسهم وأوطانهم فهذا تدليس كبير وإنّما يراد بشيوع هذه المقولة بين النّاس هدف آخر يتعلّق بفرض سيطرة أمّة غالبة على أمّة مغلوبة لتبقى تبعا ، فالثّقافات متعدّدة بتعدّد الملل ومتميّزة بتميّزها ، ولكلّ ثقافة أسلوب في التّفكير والنّظر والاستدلال منتزع

---

[1] _ ينظر : المرجع نفسه ، ص30/29.
[2] _ ينظر : محمود محمّد شاكر : رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا ، ص31.
[3] _ ينظر : المرجع نفسه ، ص31.

من "الدّين" الّذي تدين به لا محالة ، فالثّقافات المتباينة تتجاور وتتناظر وتتناقش ، ولكن لا تتداخل تداخلا يفضي إلى الامتزاج ».[1]

كما يرى شاكر بضرورة الفصل بين الثّقافة والعلم أي « العلوم البحتة ذلك لأنّ لكلّ منهما طبيعة مباينة للآخر ، فالثّقافة مقصورة على أمّة واحدة تدين بدين واحد والعلم مشاع بين خلق الله جميعا يشتركون فيه اشتراكا واحدا مهما اختلفت الملل».[2]

[1] المرجع نفسه ، ص75/47.
[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص74.

الفصل الثالث: قراءة في مراجعات محمود شاكر لبعض قضايا النّقد العربي القديم

المبحث الأول: قضيّة الشّعر الجاهلي.

1ـ مسألة عمر الشّعر الجاهلي وأوّليته.

2ـمسألة الإنتحال في الشّعر الجاهلي.

المبحث الثّاني : قضيّة المتنبيّ.

المبحث الأوّل : قضيّة الشّعر الجاهلي.

شكّلت قضيّة الشّعر الجاهلي منعطفا كبيرا في حياة محمود شاكر فكرّس لها قلمه ووقته وتفكيره ووقف فيها مواقف شتّى خاصّة وأنّها ارتبطت عنده بقضيّة الإعجاز القرآني ، ومن المسائل الّتي استوقفت محمود شاكر في هذه القضية:

1- مسألة عمر الشّعر الجاهلي وأوّليته:

ومنتهى الحديث في هذه القضيّة يعود إلى قول الجاحظ : « وأمّا الشّعر فحديث الميلاد صغير السّن ، أوّل من نهج سبيله ، وسهّل الطّريق إليه امرؤ القيس ابن حجر ومهلهل بن ربيعة ، وكتب أرسطاطاليس ، ومعلّميه أفلاطون ثمّ بطليموس وديمقريطس ، وفلان وفلان قبل بدء الشّعر بالدّهور قبل الدّهور، والأحقاب قبل الأحقاب ، ويدلّ على حداثة الشّعر قول امرئ القيس بن حجر:

إنَّ بَنِي عَوفٍ ابْتَنَوا حَسَبًا ***ضيّعه الدُّخلُلون إذ غَدَرُوا

أدَّوا إلى جَارِهم خُفَارَتَهُ ***ولم يَضِع بالمَغيبِ من نَصَروا

لم يفعلُوا فعل آل حنظلةِ ***إنّهم جَيْرِ بئس ما ائتمروا

لا حميريّ وَفَى ولا عُدُسٌ ***ولا اسْتُ عَيرٍ يَحُكُّهَا الثَّفَرُ

لكن عُويرٌ وَفَى بِذِمَّتِهِ ***لا قِصَرٌ عَابَهُ ولا عَورُ.

فانظر كم عمر زرارة؟ وكم كان بين موت زرارة ومولد النّبي صلّى الله عليه وسلّم ؟ فإذا استظهرنا الشّعر ، وجدناه إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمئتي عام».[1]

[1] _ محمّد محمود شاكر : قضيّة الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي ص12/11.

فالجاحظ قد اتّخذ من شعر امرئ القيس ومهلهل بن ربيعة تاريخا وبداية لعمر الشّعر العربي ، وأضاف إلى هذا التّقدير تقديرا آخر هو موت زرارة بن عدس.

وقد بيّن شاكر بأنّ زرارة بن عدس هذا هو« أحد حكّام بني تميم كان قد أسنّ وأدركه الموت قبل يوم أوارة الثاني بقليل ، وذلك على عهد عمرو بن هند في الحيرة ، وكان مولده كما في تاريخ أبي جعفر الطّبري لثماني سنين وثمانية أشهر من ملك عمرو بن هند بالحيرة ، وذلك في زمن كسرى أنوشروان ، وهو عام الفيل الّذي غزا فيه أبو يكسوم الأشرم بيت اللّه الحرام يريد هدمه. وإن كان موت زرارة بن عدس قبيل مولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فهذه نحو من خمسين وأربعين سنة إلى أن بعث اللّه رسوله بالإسلام على رأس أربعين سنة من مولده ، وزرارة بن عدس رأس تميما وقادها نحوا من أربعين سنة أو أكثر غلى أن أسنّ ومات فهذه نحو من تسعين سنة وأبوه عدس بن زيد قد ساد من قبله ، ورأس نحوا من أربعين سنة فهذه مئة وعشرون إلى مئة وخمسين سنة على الأكثر».[1]

ونتيجة ذلك هي أنّه« ما دام امرأ القيس قد ذكر زرارة بن عدس في شعره فهذا دليل حسب زعم الجاحظ على حداثة الشّعر، وبما أنّ امرأ القيس قد كان يتّكئ في بعض شعره على من سبقه كابن حذام الطّائي وأبي دؤاد الإيادي فقد أضاف الجاحظ خمسين سنة أخرى ـ تحسّبا ـ إلى تقديره السّابق فيكون بذلك عمر الشّعر عنده وبدايته مقدّرة بمائتي عام قبل مجيء الإسلام » .[2]

أمّا محمود شاكر فيرى أنّ الأسلوب الّذي اعتمده الجاحظ في تقدير عمر الشّعر العربي «أسلوب حسابي بحت ، والحساب وحده لا يغني شيئا في ميلاد الشّعر وحداثة سنّه ، وإن أغنى ففي أمر واحد لا غير هو تحديد عمر

[1] _ ينظر : محمود محمّد شاكر ، قضيّة الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي، ص13/12.

[2] _ ينظر : المرجع السابق ، ص13.

ما بلغنا من شعر مهلهل وابن أخته امرئ القيس لا أكثر ، وكلّ تجاوز لهذا القدر تهجّم على غيب بلا دليل ولا هاد».[1]

ويتساءل شاكر كيف «لم يكلّف أبوعثمان نفسه أو يبالي أن ينظر في شعر امرئ القيس نفسه كيف جاء موزونا مقفّى على ضروب مختلفة من الأوزان والقوافي ؟ ، وكيف تسنّى لمهلهل وابن أخته الّذي ورث عنه الشّعر أن يستحدث هذا القدر من البحور المختلفة الأوزان والقوافي؟ أو كيف يمكن أن يقع لهما هذا القدر من الابتداع جملة على غير مثال سابق؟».[2]

والأمر الّذي جعل شاكر يعجب من طريقة تفكير الجاحظ في الاستدلال لعمر الشّعر الجاهلي هو موقفه من مذهب الجاحظ الاعتزالي ومعرفته العميقة بطريقته المعتادة في الاستدلال للقضايا الّتي كان يدافع عنها ، ممّا جعله يجيب عن تساؤلاته السّابقة في أسلوب متهكم قائلا : « والّذي لا أشكّ فيه لطول معرفتي بأبي عثمان ، هو أنّه خرج فرحا شديدا غامرا في أسلوب الحساب في الاستدلال على ميلاد الشّعر ، فأغفله الفرح الغامر عن مذهبه في النّظر والفحص والتّساؤل وتقليب كلّ قضيّة على وجه بعد وجه معترضا ، آخذا تاركا ، دافعا مثبتا حتى يفرغ ، وهو مذهبه الّذي برع فيه كما هو مألوف في كتبه ورسائله ، وفي احتجاجه لآرائه الّتي تولّى نصرتها وأقواله الّتي استحدث بها مذهبه في الاعتزال».[3]

وقد بدا لشاكر أنّ الجاحظ ولا شكّ قد استند في دعواه هذه على أمرين:

أوّلهما « ما يدور في كتب الأدب من حديث نسب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه ذكر امرأ القيس فقال : " ذاك رجل مذكور في الدّنيا شريف فيها ، منسيّ في الآخرة خامل فيها يجيء يوم القيامة معه لواء الشّعراء إلى النّار".

---

[1] _ ينظر: محمود محمد شاكر : قضية الشعر الجاهلي في كتاب ا بن سلام الجمحي ، ص14/13.

[2] _ ينظر: المرجع نفسه ، ص13.

[3] _ المرجع السابق ، ص14/13.

وفي رواية " امرؤ القيس صاحب لواء الشّعراء إلى النّار ، وفي رواية أخرى صاحب لواء الشّعراء إلى النّار امرؤ القيس لأنّه أحكم الشّعر " وهي جميعا روايات ضعيفة ، فلعلّ الجاحظ قد ترجم ما جاء في هذا الكلام من أنّ امرأ القيس هو أوّل من أحكم الشّعر فقال : " هو أوّل من نهج سبيل الشّعر وسهّل الطّريق إليه " ، والتّشابه بين سياق القولين ظاهر بيّن».[1]

والاحتمال الثّاني الذي ذهب إليه شاكر هو أنّه ربّما يكون الجاحظ « قد اطّلع على كتاب (طبقات فحول الشّعراء) لابن سلاّم الّذي كان معاصرا له ذلك أنّ ابن سلاّم قد ساقه ا لنّظر إلى ذكر الشّعر فقال : " إنّ أوائل العرب لم يكن لهم من الشّعر إلاّ الأبيات يقولها الرّجل في حاجته ، وإنّما قصدت القصائد وطوّل الشّعر على عهد عبد المطّلب وهاشم بن عبد مناف ...وأوّل من قصّد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التّغلبي ، ثمّ قال : " كان امرؤ القيس بن حجر بعد مهلهل ، ومهلهل خاله ، وطرفة ، وعبيد وعمرو بن قميئة ، والمتلمّس في عصر واحد ...وأنّ امرأ القيس سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب اتبعته فيها الشّعراء..»[2]

يقول محمود شاكر معلّقا عن هذه المسألة :

« فلعلّ أبا عثمان قد جمع كلام ابن سلاّم هذا إلى الحديث السّابق ونسج قضيّته عن أوّلية امرئ القيس ، ومهلهل بن ربيعة في قول الشّعر و أنساه زهوه وإعجابه بقوله أن يبالي بالفرق الظّاهر بين قوله : " هو أوّل من نهج سبيل الشّعر " وقول ابن سلاّم : " أوّل من قصّد القصائد" وقول الخبر الهالك " أوّل من أحكم الشّعر " فإنّ ألفاظ الخبرين جميعا لا تتناول الحكم

[1] _ ينظر: محمود محمّد شاكر : قضيّة الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي ، ص 16/15.

[2] _ ينظر : المرجع السابق ، ص18/16.

على أوّلية الشّعر نفسه ، بل هي مقصورة على أوّلية تقصيد القصائد وذكر الوقائع».[1]

2ـ مسألة الإنتحال في الشّعر الجاهلي:

وهي مسألة دار حولها الكثير من الجدل قديما وحديثا ، وأثارت أقلام النّقاد عربا ومستشرقين . وأبرز من فجّر هذه القضيّة من المحدثين طه حسين الّذي أنكر وجود الشّعر الجاهلي ، واعتبره من صنع الرّواة في العصر الإسلامي متأثّرا في ذلك بأقوال أساتذته من المستشرقين وعلى رأسهم مرجليوث .

وقد أثار كتابه (في الشّعر الجاهلي) ضجّة كبيرة في الأوساط النّقدية والدّينيّة ، وكان السّبب الّذي حمل محمود شاكر يومها على ترك الجامعة بعد مواجهة بينه وبين أستاذه طه.

وبعد سنوات من العزلة قضاها محمود شاكر باحثا عن وجه اليقين في قضيّة الشّعر الجاهلي انتهى به الأمر إلى إقامة منهجه التّذوقي في دراسة الشّعر العربي والجاهلي منه على وجه الخصوص ، بعد أن ثبت لديه صحّة هذا الشّعر.

وبعد موقفه من أستاذه طه نجده يقف موقفا آخر من واحد من كبار النّقاد القدامى ممّن أثاروا قضيّة الانتحال وهو ابن سلاّم الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشّعراء) الّذي تولّى شاكر تحقيقه.

وقد أتى ابن سلاّم على ذكر الشّعر الموضوع في بداية كتابه حيث قال : « وفي الشّعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجّة في عربيّته ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسيب مستطرف ، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء وليس لأحد إذا أجمع أهل الرّواية الصّحيحة على إبطال شيء

[1] ينظر : محمود محمّد شاكر : قضيّة الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي، ص19/18.

منه أن يقبل من صحيفة ، ولا يروى عن صحفي ، وقد اختلف العلماء بعد في بعض الشّعر كما اختلفوا في سائر الأشياء ، فأمّا ما اتّفقوا عليه فليس لأحد أن يطرح منه ».[1]

والّذي لاحظه شاكر هو أنّ ابن سلاّم كان قبل هذه الفقرة مشتغلا بعرض منهج كتابه فإذا به ينتقل للحديث عن الشّعر الموضوع « بلا رابط وبلا دلالة على الانتقال من كلام إلى كلام».[2]

وهذا الانتقال المفاجئ هو ما أضفى على كلامه عن الشّعر الموضوع طابعا من الغموض ،« وجعل منه حجّة للمشكّكين في صحّة الشّعر الجاهلي وقد حاول شاكر كشف القناع عن وجوه الإبهام الّذي أحاط كلامه «وأبرزها " وجه الشّعر" الّذي أراده ابن سلاّم من قوله : وفي الشّعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لاخير فيه».[3]

وقد وقف شاكر عند معنى الشّعر في قوله : « فوجه الشّعر عندنا نحن عرب اليوم وعند أسلافنا منذ دهور متطاولة ، ومنهم ابن سلاّم نفسه وجه معروف لا يتنازع في تبيّنه أحد ، ولفظ الشّعر في لسان العرب موضوع للدّلالة على كلّ كلام شريف المعنى ، نبيل المبنى ، محكم اللّفظ ، يضبطه إيقاع متناسب الأجزاء ، وينتظمه نغم ظاهر السّمع مفرط الإحكام والدّقة في تنزيل الألفاظ وجرس حروفها في مواضعها منه ، لينبعث من جميعها لحن تتجاوب أصداؤه منحدرة من ظاهر لفظه ، ومن باطن معانيه ، وهذا اللّحن المتكامل هو الّذي نسمّيه القصيدة ، وهذا اللّحن المتكامل مقسّم أيضا تقسيما متعانق الأطراف متناظر الأوصال تحدّده قواف متشابهة البناء والألوان متناسبة المواقع متساوية الأزمان هذا هو الشّعر».[4]

والشّعر بهذا المعنى « هو ما عقد ابن سلاّم أن يؤلّف فيه كتابا فحدّثنا عنه إلى أن وقف عند قوله : (فبدأنا بالشّعر) ، ثمّ سكت ليواصل قائلا : «وفي الشّعر مصنوع مفتعل موضوع.... والّذي لا شكّ فيه عند شاكر هو

---

[1] محمود محمّد شاكر : قضيّة الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي ص27.
[2] المرجع نفسه ، ص73.
[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص29.
[4] ينظر :المرجع السابق ، ص37.

أنّ هذا الّذي اخترم به ابن سلاّم بديهة اللّغة وسلبه كلّ فضيلة محال أن يدخل في الكلام الشّريف النّبيل المحكم وهو الشّعر على بديهة العرب وبديهة لغتهم».[1]

فلم يبق أمام شاكر بعد أن تبيّن له الفرق بين معنى كلام ابن سلاّم ومعنى الشّعر في بديهة العرب ولغتهم إلاّ احتمال واحد هو « أنّ ابن سلاّم لمّا جاء مقحما متهجّما على بديهة لفظ الشّعر ، كاد يفلت لسانه فيقول : وفي الشّعر " شعر" مصنوع مفتعل موضوع.....ولكنّه أمسك وردّ اللّفظ مستنكفا متقذّرا من تسمية هذا الكلام المسلوب كلّ فضيلة "شعر" فقال: " وفي الشّعر مصنوع مفتعل موضوع ، لأنّه أبى من أن يجعل هذا الشّيء المتقذّر قسيما للفظ "الشّعر" الشّريف النّبيل المحكم أو نظيرا له ، أو بعضا منه ، وعجل فلم يغيّر ما ابتدأ به ، وأفاض في سلب الفضائل ممّا تقذّره من الكلام وكان في عجلته وتسرّعه الزّلل والخطأ في التّعبير ، وصار ظاهر لفظه الّذي سبق لسانه أناته وفكره يوهم من قرب أنّ الكلام الشّريف النّبيل المحكم معدن الحكمة الّذي تتفجّر ينابيعه على ألسنة الشّعراء "عبيد الشّعر" وذلك الغثاء الخبيث الواهن المؤلّف المطروح على عقد القوافي ، والّذي لا يعرف له أب ولا صاحب كلاهما يقع عليه لفظ "الشّعر" المعروف ببديهة اللّغة وقوعا واحدا ، وأنّ هذا الخبيث قسيم ذلك الشّريف في دلالة اللّفظ».[2]

وبالتّالي فإنّ شاكر يرى أنّ أصل الكلام في قول ابن سلاّم :« وفي الشّعر مصنوع مفتعل...هو في الحقيقة : (ولقد دخل بعض هذا الشّعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه) ، ويبقى إذن لفظ الشّعر على بديهته المعروفة ، ويبقى أيضا أنّه لا يجعل هذا المصنوع "شعرا" لأنّه بيّن بعد أنّه : "ليس بشعر ، بل هو كلام مؤلّف معقود بقواف ، وهو ليس قسيما من "الشّعر" ، ولا يقع عليه هذا اللّفظ وقوعا صحيحا عند ابن سلاّم».[3]

ولمّا كشف شاكر اللّثام عن مقصود ابن سلاّم ووجه الشّعر الّذي أراده بقوله : "وفي الشّعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه"راح

---

[1] ينظر : محمود محمد شاكر:قضية الشعرالجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي ، ص39.
[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص42/40.
[3] محمود محمد شاكر : قضية الشعرالجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي ، ص80.

يتقصى الأسباب الّتي حملته على العجلة وأودت به إلى الخطأ والاضطراب في المنهج الّذي أصاب مقدّمة كتابه على وجه الخصوص.

وقد تبيّن لشاكر بعد استظهاره لأسانيد النّسخ الثّلاث من كتاب الطّبقات والموازنة بينها أنّ مردّ هذه العجلة وهذا الاضطراب في منهج كتاب ابن سلاّم راجع إلى الظّروف الّتي أحطت تأليفه...

ذلك أنّ ابن سلاّم كان في آخر حياته « قد أهمّه أمر شعر العرب وشعرائها وأخبارها،ورأى أنّه قد قضى عمره كلّه في السّماع من العلماء على اختلاف علومهم من نحو ولغة وشعر وحديث وأخبار حتى بلغ إمامة العلم في بعض ذلك».[1]

فعزم وهو في التّسعين من عمره على أن يتمّم تأسيس «علم الأدب والشّعر بتأليف كتب في ذلك وأراد أن يجعل المدخل إليها كتابا ككتب رجال السّنة في بيان وجوه الزّيف والتّكذيب على حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وفي بيان مراتب العلماء الجهابذة من نقلة الآثار ، ومنازل سائر النّقلة من الحجّة والثّقة والضّعف وما عرف من الكذّابين والوضّاعين متأثّرا في ذلك بعلماء الجرح والتّعديل من أمثال يحي بن معين، فلمّا بدأ بإعادة كتابة النّسخة الثّانية من طبقات فحول الشّعراء أحسّ بالخوف أن يعجّله الأجل عن تأليف كتاب جامع قائم برأسه يجعله مدخلا لعلم الأدب والشّعر، فأسرع بجمع هذه الفقر القلائل من الثّالثة إلى الثّالثة عشر خلاصة بعض ما يريد أن يقوله عن الكلام المصنوع المفتعل الموضوع منسوبا إلى الشّعراء ، ثمّ خلاصة موجزة أخرى في مراتب العلماء بالشّعر من الفقرة الرّابعة عشر إلى الفقرة الثّلاثين» .[2]

يقول محمود شاكر معقّبا على ذلك : « وسبب هذا الخلل في العبارة هو ما أفضى في بيانه عن الحالة الّتي كان عليها ابن سلاّم وهو يعيد كتابة النّسخة الثّانية من كتابه ، فأقحم الفصل عن الموضوع ، والفصل الّذي يليه عن العلماء بالشّعر والعربية إقحاما أخلّ بالكلام ، وحيّرنا فيه فهمه ، ولكن

---

[1] المرجع نفسه ، ص48.

[2] ينظر : محمود محمّد شاكر : قضيّة الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي، ص84/83.

أشدّ من هذا أنّ كلام ابن سلاّم في رسالة كتابه قد كان سببا في فساد كبير أصاب شعر العرب على يد أوّل المشككين في الشّعر الجاهلي النّافين لصحّته حين غابت هذه الفقرة من طبعة الأعجمي يوسف هل وحين ظهرت في نسختنا وفيها هذا الاضطراب والخلل لم تغني على تصحيح ما فهم من كلام ابن سلاّم لردّ هذه الفتنة السّقيمة ، بل استمرّ الأمر بعد ذلك على اتّهام ما بأيدينا من شعر العرب الّذي نقله إلينا العلماء المحقّقون الجهابذة بأنّ فيه مصنوعا مفتعلا ثمّ زاد الأمر حتى صار بعض الباحثين ينفي من هذا الشّعر ويثبت بلا بيّنة وبلا دليل إلاّ خواطر الاستحسان والاستهجان كيف اتّفق».[1]

[1] _ المرجع نفسه ، ص80.

المبحث الثّاني : قضيّة المتنبيّ:

لقد تجلّى منهج محمود شاكر التّذوقي في جلّ أعماله النّثرية والشّعرية على حدّ سواء ، « ولعلّ أهمّ أعماله الّتي ظهر فيها منهجه مطبّقا تطبيقا واضحا كتاب " المتنبي" وهو أوّل عمل طبّق فيه هذا المنهج على الإطلاق ، وكان ذلك عقب فراغه مباشرة من رحلته الطّويلة الشّاقة في قراءة الشّعر الجاهلي».[1]

وقد بدأت علاقة شاكر بالمتنبي بحفظه ديوانه « كاملا وذلك عام رسوبه في الشّهادة الابتدائية وفي اللّغة العربية بالذّات ، فأيقظ هذا الحفظ في نفسه حاسّته بالشّعر تذوّقا وإنشاء »[2] ، وأعاد ربط صلته به مجدّدا بعد أن قطعها تعلّقه بالإنجليزية ، ثمّ انصرف عن ديوان المتنبي لحفظ الشّعر الجاهلي على يد شيخه المرصفي ...ثمّ كان بعدها ما كان من أمر دخوله الجامعة وخلافه الشّهير مع أستاذه طه حسين حول قضيّة الشّعر الجاهلي ليدخل بعدها في رحلة بحث طويلة ملكت عليه عقله ووقته وشغلته عمّا سواها . ثمّ بعد أن انتهى من قضيّته تلك عاد إلى ديوان المتنبي ليقرأه ثانية بعد هجر طويل ، وكانت عودته له هذه المرّة بناء على رغبة صديقه «الأستاذ فؤاد صروف صاحب جريدة المقتطف الّذي طلب إليه أن يكتب كلمة مسهبة بعض الإسهاب ما بين عشرين إلى ثلاثين صفحة إحياء لذكرى أبي الطّيب المتنبي في مرور ألف سنة على وفاته».[3]

وكان أوّل ما قام به شاكر في ذلك أن« أخذ ديوان المتنبي بشرح الواحدي من القدماء (468ه) ، ثمّ شرح ناصف اليازجي من المحدّثين (1287ه) ، وبدأ بقراءته ، وكان أوّل ما استوقفه ولم يكد يتجاوز نصف الدّيوان أنّ النّصف الثّاني منه مؤرّخة قصائده كلّها أو أكثرها باليوم والشّهر والسّنة ، أمّا النّصف الأوّل فهو غفل كلّه من التّأريخ إلاّ حيث يذكر أنّه قاله في صباه ، فكشف له هذا التّرتيب عن جزء من حركة وجدان أبي الطّيب في شعره في زمن طويل يمتدّ من 337ه إلى وفاته 354ه.

---

[1] _ ينظر : إبراهيم الكوفحي : محمود محمّد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النّقدي ، ص249.
[2] _ ينظر : عايدة الشّريف ، قصّة قلم ، ص243.
[3] _ ينظر : محمود محمّد شاكر ، المتنبي ، ص35.

وعاد ليقرأه ثانية قراءة متذوّقة محاولا ترتيب القسم الأوّل منه ليستشف من خلاله حركة وجدان أبي الطّيب المتنبي في الشّعر الّذي قاله منذ صباه.»[1].

ورغم أنّ هذه القراءة وهذا التّرتيب كوّن لديه ملاحظات لا بأس بها عن حياة أبي الطّيب الشّاعر إلاّ أنّه لم يستطع كتابة شيء ،« وظلّ يعتريه شعور بنقص عمله ، فما كان منه إلاّ أن ألقى الدّيوان جانبا وراح يجمع ما تيسّر من تراجم لأبي الطّيب ممّا كتبه الأوّلون وممّا أتيح له أن يعلمه ممّا كتبه المحدّثون وأخذ يرتّبها ترتيبا تاريخيا محاولا أن يردّ الأخبار إلى أصولها الّتي وردت عنها ، وكان ذلك عملا شاقّا غير أنّه عظيم الفائدة ، إذ مكّنته هذه القراءة وهذا التّرتيب من أن يستشفّ الاختلاف الواضح بين صورة أبي الطّيب الّتي تصوّرها هذه الأخبار وهذه التّراجم ، وصورته الّتي صوّرها له تذوّق شعره مجرّدا من تأثير هذه الأخبار الّتي رويت عنه.»[2]

وهنا نجد أنّ شاكر قد طبّق مفهومه للمنهج القائم على شطري المادّة والتّطبيق ، حيث بدأ في شطر المادّة ، بديوان المتنبي كمادّة وركيزة أساسيّة بشرح الواحدي ثمّ اليازجي ، ثمّ جمع بعد ذلك ما أمكنه جمعه من تراجم وأخبار ، وراح يمحّصها ويرتّبها ويردّها إلى أصولها.

ثمّ أخذ في شطر التّطبيق يركّب بين ما قرأه من شعر أبي الطّيب وبين ما ورد عنه من أخبار ،« فتبيّن له الفرق جليّا بين تذوّق شعر الشّاعر تذوُّقا يعتمد على الشّعر أوّلا ، ثمّ على ما يكون في نفس المتذوّق من إدراك مجمل لعصر الشّاعر والعصور الّتي قبله وما عايش من أحداث وأناس ممّا كان له تأثير في شعره ، وبين بحث الدّارس المتأنّي الّذي يجمع أخبار الشّاعر وتراجمه وآراء النّاس فيه ويكشف عن مواضع الخلل في هذه الأخبار وإن اختلّت ، وعن استقامتها إن استقامت.»[3]

---

[1] _ ينظر : إبراهيم الكوفحي ، محمود محمّد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النّقدي ، ص250/251.

[2] _ ينظر : محمود محمّد شاكر : المتنبي ، ص40.

[3] _ ينظر : المرجع نفسه ، ص41.

وتبيّن له أيضا صدق ما ذهب إليه المحدثون « من أنّ اعتماد طريق الأخبار وبحثها ربّما ضلّل الكاتب عن الحقيقة فجعله يرى في بعض شعر الشّاعر معنى هو بعيد كلّ البعد عن المعاني الّتي يدلّ عليها تذوّق شعره جملة واحدة ، وأنّه أيضا يشوّه صورة الشّاعر الّتي يصوّرها تذوّق شعره تصويرا أصدق وأوضح وأعمق ، وهذين العملين رغم اختلافهما إلاّ أنّه لا غنى لأحدهما عن الآخر».[1]

إلاّ أنّ شاكر ظلّ بعد كلّ هذا متردّدا محتارا لا يستطيع أن يحزم أمره على أسلوب واحد في الكتابة ، فكان في كلّ مرّة يكتب ثمّ يمزّق ما كتب وبقي على هذه الحال أيّاما يميّل الرّأي بين الأساليب حتى سوّلت له نفسه أن يدع ذلك بالمرّة لولا أن منعه حياؤه من فؤاد صروف

وبعد مدّ وجز أجمع أمره على الكتابة كيفما اتّفق ذلك « تاركا زمام أمرها لسيل المعاني والآراء الّتي وقف عليها في شعر أبي الطّيب أن تشقّ له سبيلها ، فكتب بذلك ما يزيد على ثلاثين صفحة وقرأها هو وفؤاد صروف الّذي همّ أن يأخذها للنّشر غير أنّ شاكر استأذنه حتّى يعيد النّظر فيها مرّة أخرى ، والسّبب في ذلك أنّه كان يدّخر في نفسه أشياء بدت له في شعر أبي الطّيب ولم يثبتها في هذه الورقات خوفا من الزّلل ومن استنكار النّاس لها إن كتبها مجرّدة بلا دليل إلاّ دليل التّذوق » .[2]

وهذه الأشياء الّتي أخفاها شاكر في نفسه تمثّلت في بعض الحقائق المتعلّقة بحياة أبي الطّيب ومنها:

1- نسب أبي الطّيب: الّذي عاش يخفيه عن النّاس لحاجة منعته ، وقد تبيّن لشاكر أنّ حقيقة نسب المتنبي غير الّتي وصلت إلينا عبر الرّوايات من أنّه ابن سقّاء من الكوفة ،« وهذه الحقيقة لا يمكن معرفتها إلاّ باستنباطها من دلالات وأحوال تاريخيّة ، ثمّ مقابلة تلك الدّلالات بدلالات أخرى مستنبطة من شعره نفسه ، والّتي تبيّن له من خلالها أنّ المتنبي كان علويّا ، ولم يكن عنده من دليل آخر يثبت صحّة ذلك إلاّ خبر رواه الأصفهاني جاء في خزانة

[1] ينظر : محمود محمّد شاكر ، المتنبي ، ص41/40.
[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص43/42.

الأدب للبغدادي أنّ مولد المتنبي كان بالكوفة في محلّة تعرف بكندة.... واختلف إلى كتّاب فيه أولاد الأشراف بالكوفة ، فكان يتعلّم دروس العلويّة لغة وشعرا وإعرابا».[1]

ولم يكتف شاكر بهذا الخبر بل راح يستقصي وجه الصّواب فيه «علّه يجد شيئا يهديه إلى علاقة هذا الكوفي الشّاعر بالعلويين الّذين كانت ديارهم في الكوفة مسقط رأسه ، وفيها منشؤه إلى أن جاوز السّابعة عشرة ، وبعد تردّد طويل وحيرة بين دلالة الأخبار ودلالة تذوّق الشّعر بلغ حدّ القطع بأنّ أبا الطّيب علويّ النّسب فرضا يشبه الحقيقة ».[2]

وبعد أن استيقنت نفس شاكر حقيقة علويّة المتنبي عرضها في كتابه على النّاس فاستنكرها عليه أكثرهم حتّى أستاذه الرّافعي.

ومرّت السّنون ونسي شاكر أمر المتنبي إلى أن «وقع فيما بعد على الدّليل الّذي يثبت صحّة ما ارتآه وذهب إليه حيث وصلته ترجمة المتنبي نقلا عن ابن عساكر وابن النّديم يقرّران فيها أنّ المتنبي علويّ بالرّضاعة والرّضاعة لحمة كلحمة النّسب ».[3]

2- اتّهامه بادّعاء النّبوّة: فقد استطاع شاكر أن يبطل دعوى النّبوّة الّتي لصقت بالمتنبي وذلك « من خلال نفيه للرّوايات الّتي وردت في شأن نبوّة المتنبي معتمدا سبيل مراجعة السّند وعدالة الرّاوي ، وسبيلا آخر هو محاكمة الرّواية ذاتها بقياسها إلى ما علم من سيرة حياة المتنبي وعرضها على المنطق العملي ».[4]

3- والأمر الآخر الّذي استشفّه شاكر من تذوّقه لشعر المتنبي هو حبّه لخولة أخت سيف الدّولة ، والّذي عاش يخفيه ممزّقا في ذلك بين المنى والألم .

وقد عبّر عنه شاكر بأبيات من شعره ـشاكرـ استفتح بها الحديث عن قضيّة المتنبيّ:

---

[1] ينظر : إبراهيم الرّضواني ، أبو فهر محمود شاكر بين الدّرس والتّحقيق ، ص244.
[2] ينظر : محمود محمّد شاكر : المتنبي ، ص54/53.
[3] أماني حاتم بسيسو ، محمود شاكر شاعرا ، ص37.
[4] المرجع نفسه ، ص37.

« ذكرتك بين ثنايا السّطور ***وأضمرت قلبي بين الكلم

ولست أبوح بما قد كتمت ***ولو حزّ في النّفس حدّ الألم

تحاصرني ما حييت المنى ***فأرقع ما مزّقّت بالظّلم

فكم كتم اللّيل من سرّنا ***وفي اللّيل أسرار من قد كتم

تشابه في كتم ما نستتر ***سواد الدّجى وسواد القلم » [1]

ولعلّ أوّل ما « لفت انتباه شاكر في هذه القضيّة هو ذلك الفرق الكبير بين شعر المتنبيّ الّذي قاله قبل اتّصاله بسيف الدّولة وشعره الّذي قاله في حضرته » .[2]

يقول محمود شاكر متحدّثا عن ذلك الفرق : «لأنّك إن عدت إلى شعره في ذلك العهد الأوّل لم تجد فيه إلاّ قسوة وشدّة وعنفا، وقلّما لان الرّجل أو ترقّق إلاّ متكلّفا للغزل ، وكان قد فارق قبل سيف الدّولة رجالا أحبّهم وصحبهم وبادلهم مكنون صدره من الودّ ، ولم يظهر في شيء من شعره بعد فراقهم أثر لهذا الفراق إلاّ قليلا قليلا ، ولكنّه حين فارق سيف الدّولة ودخل مصر اختلف الأمر اختلافا بيّنا وظهرت في شعره رقّة لا عهد له بها ولا تكون العلّة في هذه الرّقة الّتي ظهرت فيه بعد أن جاوز الأربعين واستحكم واستمرّ مريره ، واستوت طبيعته على طريقة من القوّة والتّشدد والاستمساك لا تكون من أجل فراقه سيف الدّولة وحسب ، فإنّ ذلك الفراق بين الرّجلين لا يعمل في تغيير الطّبيعة المتأصّلة كلّ هذا العمل ، وليس لشيء من العمل في تغيير الطّبائع وتبديلها مثل ما للحبّ في القدرة على ذلك ، وكان أبو الطّيب حين فارق سيف الدّولة يتلفّت قلبه إلى تلك الّتي خلّفها من ورائه ، وخلّف عندها قلبه وعواطفه فأثّر ذلك ذكرى وآلاما جعلت الدّنيا تضيق بها نفسه وتضجر ».[3]

---

[1] محمود محمّد شاكر : المتنبي ، ص136.

[2] إبراهيم الكوفحي : محمود محمّد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النّقدي ، ص261.

[3] محمود محمّد شاكر : المتنبي ـ ص384,

خاتمة :

لقد كان الذّوق الفنّي هو المحرّك الرئيس للنّقد العربي طيلة مراحل تطوّره الأولى من النّشأة إلى المنهج.

ويمكن القول بأنّ محمود محمّد شاكر قد سنّ منهجه التّذوقي متّبعا في ذلك طرائق الأقدمين في تذوّق البيان العربي ، وقد اجتمعت له فنّية الذّوق إلى جانب الصّرامة العلميّة الّتي استقاها من طرائق علماء الحديث ، ومن اشتغاله بمجال التّحقيق على وجه التّحديد.

ويمكن إجمال أهمّ ما ورد في في البحث في النّقاط التّالية :

1ـ قد كان لنشأة محمود شاكر وتكوينه أثر كبير على شخصيّته وبناء فكره العلمي والنّقدي خاصّة ما كان من تأثير والده وأخيه المحقق المشهور أحمد شاكر ، هذا إضافة إلى بعض الشّخصيات الأدبيّة الّتي كان لها الفضل في ربط صلة شاكر بالتّراث وبالشّعر العربي قراءة وبحثا وتذوّقا من أمثال المرصفي والرّافعي.

2ـ شكّلت مرحلة الجامعة نقطة الانعطاف في حياة محمود شاكر، وكانت محاضرات أستاذه طه حسين في الشّعر الجاهلي هي الشّرارة الّتي فجّرت قضيّة المنهج لديه ، وحملته على ترك الجامعة بعد مكث لم يستمرأكثر من عامين.

3ـ رفض محمود شاكر المناهج الغربية رفضا صريحا بعد أن رأى فيها معاول لطمس الهوية خاصة إذا ما تعلّق الأمر بدراسة التراث ، وكان رفضه مبنيا على معرفة واسعة بالتراث واطلاع على خلفيات هذه المناهج.

4ـ كان منهج محمود شاكر التّذوقي خلاصة سنين من البحث الدّؤوب في استقراء التّراث ، وإعادة قراءة الشّعر الجاهلي طلبا لوجه اليقين في صحّة نسبة الشّعر الجاهلي.

5ـ يقوم المنهج عند محمود شاكر على شطرين أساسيين : شطر المادّة وشطر التّطبيق. ويمثل التذوق عماد المنهج في تجربة شاكرالنقدية.

6- لم يقتصر منهج محمود شاكر على الذوق وحده بل كان يتند إلى أسس علمية في استنباط الحقائق وتقصّي الأحداث التاريخية متأثّرا في ذلك بمنهج التّحقيق، ومنهج الجرح والتّعديل وبهذا استطاع الجمع بين فنّية الذّوق وعلمية الإجراء وصرامته.

7- لم يقف مفهوم الذّوق لدى شاكر عند حدود المنهج ، بل كان يرى فيه أساس كلّ حضارة وقوام كلّ علم ، ويمكن القول بأنّه كان يعتبر التّذوق منهج حياة.

8- وضع محمود شاكر لنازلي ميدان المنهج من باحثين وكتّاب وعلماء شروطا تمحورت حول نقاط ثلاث هي : اللّغة / الثّقافة / الأهواء ، وعماد هذه الثّلاثة عنده هو الدّين الّذي يتشكّل منه الأصل الأخلاقي الّذي يضمن للأمم والحضارات خصوصياتها واستمرارها .

9- تجلّى منهج محمود شاكر التّذوقي في جلّ أعماله الشّعريّة والنّثريّة على حدّ سواء ، كما تجلّى في مراجعاته لقضايا النّقد العربي القديم ، ومنها قضيّة المتنبي ، وقضيّة الشّعر الجاهلي .

قائمة المصادر والمراجع :

1. ـ إبراهيم الكوفحي : محمود محمّد شاكر ـ سيرته الأدبيّة ومنهجه النّقدي ـ مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 2008م.
2. ـ ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد ، ط4 ، دار الجيل ، بيروت ، 1972م.
3. ـ ابن قتيبة الدّيتوري : الشّعر والشّعراء ، تحقيق أحمد شاكر ، ط2 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1998م.
4. ـ ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر بيروت ، ط3 ، 1414ه.
5. ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتّبيين ، ج2 ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1423ه.
6. ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : الحيوان ج1 ، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، 1416ه/1996م.
7. ـ إحسان عبّاس : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ، نقد الشّعر من القرن الثّاني حتى القرن الثّامن الهجري ، دار الثّقافة ، بيروت ، لبنان.
8. ـ أحمد الشّايب : أصول النّقد الأدبي ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر ، بيروت ، لبنان.
9. ـ أحمد أمين : النّقد الأدبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1387ه/ 1962م.
10. ـ أحمد بدوي : أسس النّقد الأدبي عند العرب ، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر ، 1996م.
11. ـ أحمد مطلوب : معجم النّقد العربي القديم ، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة ، بغداد ، 1989م.
12. ـ إخلاص فخري عمارة : الإسلام والشّعر (دراسة موضوعيّة) ، مكتبة الآداب ، ميدان الأوبرا ، القاهرة.
13. ـ الخليل بن أحمد : معجم العين ، تحقيق مهدي المخزومي : إبراهيم السّامرائي ، دار مكتبة الهلال.

14. ـ الرّاغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء ، شركة الأرقم ، بيروت ، 1420ه.
15. ـ أماني حاتم بسيسو : محمود محمّد شاكر : شاعرا ، كلّية الدّراسات العليا ، الجامعة الأردنيّة ، آب ، 2004م.
16. ـ خالد يوسف : في النّقد الأدبي وتاريخه عند العرب ، المؤسسة الجامعيّة للدّراسات والتّوزيع ، بيروت ، لبنان 1987م.
17. ـ صلاح فضل : مناهج النّقد المعاصر ، ميريت للنّشر والمعلومات ، شارع قصر النّيل ، القاهرة ، ط1 ، 2002م.
18. ـ طه أحمد إبراهيم : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرّابع الهجري.
19. ـ عامر مصباح : منهج إعداد البحوث العلميّة ، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة ، وحدة الرّغاية ، الجزائر ، 2006م.
20. ـ عبد العزيز عتيق : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ، دار النّهضة العربيّة ، بيروت لبنان.
21. ـ عبد القادر هنّي : دراسات في النّقد الأدبي عند العرب من الجاهليّة حتى نهاية العصر الأموي.
22. ـ علي جواد الطّاهر ، منهج البحث الأدبي ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر ، بيروت ، لبنان.
23. ـ عمر حسن القيّام : محمود محمّد شاكر الرّجل والمنهج ، دار البشير ، عمّان ،ة ط1 ، 1417ه/1997م.
24. ـ فضل ناصر حيدرة مكوّع العلوي : نقد النّص الأدبي حتى نهاية العصر الأموي ـ أطروحة دكتوراه ـ مجلس كليّة الآداب ، جامعة الكوفة ، 2003.
25. ـ قدامة بن جعفر : نقد الشّعر ، دار الثّقافة ، بيروت ، لبنان ، 1964م.
26. ـ محمّد خضر : النّقد الأدبي عند العرب (الخطوات الأولى) ، دار العلم والإيمان للنّشر والتّوزيع ، دسوق ، ميدان المحطّة ، شارع الشّركات ، 2000م.

27. ـ محمّد زغلول سلام : تاريخ النّقد الأدبي والبلاغة من القرن الرّابع الهجري ، منشأة المعارف ، الإسكندرية.
28. ـ محمّد غنيمي هلال : النّقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، 1997م.
29. ـ محمّد مندور : النّقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر ، 1996م.
30. ـ محمود إبراهيم الرّضواني : أبو فهر محمود محمّد شاكر بين الدّرس الأدبي والتّحقيق ، دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ط1 ، 1415ه /1995م.
31. ـ محمود محمّد الطّناحي : مدخل إلى نشر التّراث العربي ، مع محاضرات للتّصحيف والتّحريف الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1405ه/1984م.
32. ـ محمود محمّد شاكر : أباطيل وأسمار (الجزء الأول والثّاني) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.
33. ـ محمود محمّد شاكر : ديوان اعصفي يا رياح وقصائد أخرى ، مطبعة المدني ، ط1 ، 1422ه/2001م.
34. ـ محمود محمّد شاكر : رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، 1997م.
35. ـ محمود محمّد شاكر : قضيّة الشّعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم الجمحي ، مطبعة المدني ، 1997م.
36. ـ محمود محمّد شاكر ، المتنبي.
37. ـ مصطفى عبد الرّحمان إبراهيم : في النّقد الأدبي القديم عند العرب ، مكّة للطّباعة 1419ه/1998م.
38. ـ منذر محمّد سعيد أبو شعر : معجم محمود محمّد شاكر ، المكتب الإسلامي
39. ـ هند حسين طه : النّظريّة النّقدية عند العرب ، دار الرّشيد للنّشر ، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام ، الجمهوريّة العراقيّة ، 1981م.

40. وجدان العلي : ظل النّديم ، مركز تفكّر للبحوث والدّراسات ، ط1 ، 1436ه/2015م .بيروت ، ط2 ، 1428ه/2007م.

الموضـــــــــــــــــــــــــــوع	الصفحـــــة
البسملة	
الإهداء	
المقدّمة .	أ - ب - ج - د
مدخل : مسار تطوّر النّقد العربي من الذّوق إلى المنهج	2- 18
الفصل الأول : وقفة لا بدّ منها	20 -34
م1 : المولد والنّشأة. م2 : الجامعة ومحنة الشّعر الجاهلي. م3 : محمود شاكر الموقف والكتابة .	20 27 31
الفصل الثّاني : محمود شاكر وقضيّة المنهج.	36 - 49
م1 : التّعريف بالمنهج : لغة / اصطلاحا. م 2 : المنهج بين المعرفة العلمية والفنّية. م3: موقف شاكر من المناهج الأدبيّة م4 : منهج محمود شاكر التّذوقي. م5 : ضوابط المنهج عند محمود شاكر	36 39 41 43 47
الفصل الثّالث : قراءة في مراجعات محمود شاكر لبعض قضايا النّقد العربي القديم.	49 -62
م1 : قضيّة الشّعر الجاهلي. م2 : قضيّة المتنبي	49 58
الخاتمة	63 - 64
قائمة المصادر والمراجع	65 -68
فهرس المحتويات	69

جامعة د مولاي الطّاهر_ سعيدة .
كليّة الآداب واللّغات الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في النّقد العربي القديم

بعنوان

المنهج النّقدي عند محمود شاكر بين فنّية الذّوق وعلمية الإجراء

ـ قراءة في مراجعاته النّقدية لقضايا النّقد الأدبي القديم ـ

إعداد الطالبة :
بن ويس يمينة

إشراف الدّكتور :
هاشمي الطّاهر

لجنة المناقشة المشكّلة من :

د . مرسلي عبد السّلام	رئيـــــــــسا
د . هاشمي الطّاهر	مشرفا ومقرّرا
د . بهلول شعبان	ممتحـــــــــنا

1440.1439هـ

2019.2018م